بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ومضات في فهم الآيات (٣)

سورة الأنعام

وسورة الأعراف

رقم الناشر الدولي: ٧-٦٠٥-٠-٨٥٩٩٩-٨٧٩

رقم الإيداع بإدارة المكتبات العامة: ٧٦٧/د.ع/٢٠٢١م

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ملخص المقدمة

بني ومضات في فهم الآيات على ثمانية عشر من الأسس والمرتكزات المستمدة من القرآن العزيز وسُنّة الرسول ﷺ، لتكون أساسًا ومرتكزًا لفهم القرآن العزيز، والتمسك به، وإقامته في النفس، ودعوة النّاس له، تمهيدًا لإقامته في الأرض، ليفتح الله تعالى بركات السماء والأرض للناس، ولمنع عقوباته تعالى عنهم، لقوله تعالى في سورة الأعراف:{ وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ}﴿٩٦﴾ وبيّن الله تعالى أنّ كل إنسان مسؤولًا مسؤولية تامة عن كل ما يصيبه من شُؤم بسبب عمله في قوله تعالى في سورة:{ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلۡزَمۡنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦۖ وَنُخۡرِجُ لَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ كِتَٰبٗا يَلۡقَىٰهُ مَنشُورًا}﴿١٣﴾ وبيّن تعالى طريق السعادة في الدنيا والآخرة باتباع هديه وأنّ الشقاء فيهما بالإعراض عن دينه في قوله تعالى في سورة طه حيث قال:{... فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ}﴿١٢٤﴾ وهذه الأسس والمرتكزات كما يلي: -

المرتكز الأوّل: الإيمان بالغيب

المرتكز الثاني: لله تعالى ملك السماوات والأرض وما فيهما.

المرتكز الثالث: الله الذي أعطى كل شيء خَلْقَه ثمّ هدى.

المرتكز الرابع: لله تعالى الخَلْق والأمر، ولا يكون شيئًا في الكون إلّا بإذنه ومشيئته.

المرتكز الخامس: اختيار الرسل ومنحهم المعجزات وتعليمهم

المرتكز السادس: الأديان.

المرتكز السابع: السنن والجزاءات والابتلاءات.

المرتكز الثامن: أمّة الإسلام هي خير أمة أخرجت للناس.

المرتكز التاسع: أخذ العهد على جميع المرسلين باتباع محمد ﷺ ونصرته.

المرتكز العاشر: شرائع الإسلام تفضي إلى إقامة المجتمع الأمثل في الأرض.

المرتكز الحادي عشر: الدين الإسلامي لا يتعارض مع الحقائق العلمية الثابتة.

المرتكز الثاني عشر: التقوى والإحسان مفاتيح الخير كُله.

المرتكز الثالث عشر: الولاء لله تعالى ولرسوله ﷺ والمؤمنين.

المرتكز الرابع عشر: النسب الإيماني هو نسب المؤمنين.

المرتكز الخامس عشر: تزكية الله تعالى ورسوله ﷺ للقرون الثلاثة الأول من هذه الأمّة.

المرتكز السادس عشر: وجوب إقامة الدين في الأرض.

المرتكز السابع عشر: وجوب دعوة النّاس للدين.

المرتكز الثامن عشر: أنّ الله تعالى مظهر الإسلام على كلِّ دين.

فؤاد محمود آل محمود

المحتوى

الموضوع الصفحة

ملخص المقدمة..... ٢

سورة الأنعام ترتيبها (٦) آياتها (١٦٥) ٧

(١-١١) الإشارة إلى شدّة عناد واستكبار الكافرين رغم تجلي ووضوح البراهين الإلهية. ٧

(١٢-٢٠) استمرار حوار الكافرين المستكبرين، وتكذيب أهل الكتاب عدم معرفتهم برسول الله ﷺ..... ١١

(٢١-٣٢) توعد المفترين على الله الكذب والمشركين، وبيان حالهم في الدنيا ويوم القيامة. ١٥

(٣٣-٤٥) تأكيد تعنت وإصرار الكافرين والمشركين، والأمر بالصبر حتى يقضي ما يشاء الله فيهم، وبيان أنّ سننه تعالى ماضية فيهم. ١٩

(٤٦-٥١) الرد على حجج المستكبرين، وبيان أنّ تبليغ الرسالة هو واجبات الرسل، وتحذير الكافرين من عقوبة الإصرار على الكفر. ٢٣

(٥٢-٥٨) الإرشاد بملازمة المؤمنين وعدم الصد عنهم، والنهي عن اتباع رغبات الكافرين، وبيان أن الجزاء في الدنيا والآخرة بيده تعالى. ٢٦

(٥٩-٦٧)الجزم بأنّ إذن كلّ شيء في الكون بيده تعالى، وبيّن الأدلة والبراهين على ذلك، وتأكيد إعراض والمستكبرين..... ٣٠

(٦٨-٧٣) النهي عن مجالسة المستهزئين بالله تعالى وآياته ومحاجّتهم، والأمر بالتمسك بدينه تعالى وشرعه. ٣٣

(٧٤-٨٣) التذكير بدَحْض إبراهيم (ع‌س) عبادة عمّه وقومه للنجوم، بما أمده تعالى من يقينُ بملكوت السماوات والأرض، وتَبَرُّئِه مما يعبدون.. ٣٧

(٨٤-٩٢) بيان مكافئة إبراهيم (ع‌س) والأنبياء من قبله ومن بعده، ومعاتبة أهل الكتاب لكفرهم، وتأكيد بركة القرآن وتكفله تعالى بحفظه. ٤١

(٩٣-١٠٣) بيان أعظم الكذب وحال الكذبة عند النزع، ونفي الشركاء وضرب الأمثال لعظيم خلقه وعجز ما يشركون به. ٤٥

(١٠٤-١١٣) بيان أنّ القرآن بصائر للناس، والأمر باتباع هديه تعالى، والنهى عن سبّ آلهة الكافرين، وتأكيد أنّه لا تؤمن نفس إلّا بإذنه. ٥٠

(١١٤-١٢١) الأمر بعدم قبول تشريعًا غير تشريع الله تعالى، والإعراض عن جدل المشركين، وترك ظاهر الإثم وباطنه. ٥٥

(١٢٢-١٢٩) تأكيد ألّا سوية بين المؤمن والكافر، وأنّ القرآن صراطه المستقيم، وبيان سننه تعالى في المؤمنين والكافرين. ٥٨

(١٣٠-١٣٧) اعتراف كفرة الجن والإنس بكفرهم قبل وُلوجهم النّار، وتحذير الناس من الكفر، وتسفيه أحكام وتشريعات الكافرين..... ٦٢

(١٣٨-١٤٥) تسفيه تشريعات المشركين ودحضها، والإشارة إلى بعض نعمه تعالى من زرع وأنعام، وما حرّم تعالى منها وأباح للضرورة. ٦٧

(١٤٦-١٥٠) بيان ما حرّمه تعالى على الذين هادوا من بني إسرائيل، وإقامة الحجّة على المشركين، والأمر بالإعراض عمّا يزعمون. ٧١

(١٥١-١٥٤) بيان ما حرّم تعالى على النّاس، والأمر باتباع هديه، وأن في التوراة هدىً ورحمة. ٧٥

(١٥٥- ١٥٨) تأكيد أن القرآن هدى ورحمة، والتحذير من الكفر ومغبة الإعراض عن دين الله تعالى. ٧٩

(١٥٩-١٦٥) تبرئة الرسول ﷺ من المتفرقين شيعًا وأحزابًا، وإنذارهم بعذاب عظيم، وبيان بعض ثوابته تعالى..... ٨٢

سورة الأعراف ترتيبها (٧) آياتها (٢٠٦)..... ٨٧

(١-١٠) القسم بأنّه تعالى أنزل القرآن على رسوله ﷺ، للإنذار الكافرين وذكرى للمؤمنين، والتحذير من مغبة الكفر في الدنيا والآخرة ٨٧

(١١-١٨) بيان حقائق من ماضي الغيب، وفضح إبليس، وإخراجه من الجنّة، وتَوَعُد من كفر. ٩١

(١٩-٢٧) بيان حقائق من ماضي الغيب بخصوص آدم (ع‌س) وتحذيره من الاقتراب من الشجرة، وإغواء إبليس له، وتحذير بني آدم من غواية إبليس. ٩٥

(٢٨-٣٤) الرد على تشريعات الكفرين افتراءاتهم، وبيان ما أحلّ تعالى وما حرَّم، والتذكير بأنّ لكل أمة أجل معلوم. ٩٩

(٣٥-٣٩) التذكير بإرسال الرسل، وبيان جزاء افتراء الكذب على الله وتكذيب الرسل، والإشارة إلى حوار الأمم الكافرة في النار. ١٠٣

(٤٠-٤٣) بيان شيئٍ من مستقبل الغيب وحاضره عند سكرات موت الكافرين، وبشارات المؤمنين. ١٠٦
(٤٤-٥١) جانب من حوار أصحاب الجنة والنار وأصحاب الأعراف، وتأكيد أنّ نعيم الجنة محرَّم على أهل النار. ١١٠
(٥٢-٥٨) التحذير من مغبة الكفر، وتأكيد أنّ الله تعالى خالق كل شيء، ودعوة الناس للإيمان، والإشارة إلى بعض آياته تعالى. ١١٣
(٥٩-٧٢) الإشارة إلى جدل الأقوام الكافرة لرسلها، والسنن الإلهية التي مضت فيهم جزاء كفرهم واعراضهم واستكبارهم. ١١٨
(٧٣-٨٤) الإشارة إلى جدل قوم صالح ولوط- عليهما السلام- ومُضي السنن الإلهية فيهم جزاء كفرهم واستكبارهم. ١٢٢
(٨٥-٩٣) جدل قوم شعيب (عس) وبيان عقوبتهم جزاء كفرهم واستكبارهم. ١٢٦
(٩٤-١٠٢) بيان سنن الله تعالى في القرى الكافرة قبل إنزال العقوبة بهم، جزاء كفرهم وشركهم وطغيانهم. ١٣٠
(١٠٣-١٢٦) الإشارة إلى مُحاجة موسى (عس) لفرعون وقومه، وبطلان سحر السحرة وإشهار إيمانهم، وثباتهم عند محنتهم. ١٣٤
(١٢٧-١٣٧) تحريض آل فرعون على بني إسرائيل، وابتلاء آل فرعون وإصرارهم على الكفر وإهلاكهم، وتوريث بني إسرائيل الأرض المباركة. ١٣٨
(١٣٨-١٤٧) بيان نعم الله تعالى على بني إسرائيل، وأمر موسى (عس) وقومه بالتمسك بهدي الله تعالى بقوة، وبيان سننه تعالى في الفاسقين. ١٤٣
(١٤٨-١٥٤) اتخاذ بني إسرائيل العجل معبودًا لمّا استعجل موسى (عس) ملاقاة ربه، وتَوَعُّدِه تعالى عبدة العجل، وتوبته على من تاب ١٤٨
(١٥٩-١٦٦) بيان مآل إليه اتباع موسى (عس) من يهود، وضرب المثل لمعاصيهم وجزائهم في الدنيا قبل الآخرة. ١٥٦
(١٦٧-١٧١) أخذ تعالى العهد على نفسه بأن يَسُوم بني إسرائيل سوء العذاب في الدنيا لظلمهم وكثرة معاصيهم، وأمرهم بالتمسُّك بالتوراة بقوة. ١٦١
(١٧٢-١٧٩) إشهاد الأنفس على ربوبيته تعالى، وضرب المثل لعقوبة الانسلاخ عن الدين، وتأكيد ظلم المكذبين لأنفسهم ١٦٥
(١٨٠-١٨٨) الأمر بالدعاء بأسمائه تعالى الحسنى، وبيان سننه تعالى في المكذبين، وتأكيد أنّ علم الساعة والغيب له تعالى وحده. ١٦٩
(١٨٩-١٩٨) الإشارة إلى بدأ خلق الناس، والاستنكار على شِركهم، وتأكيد عجز ما يعبد من دون الله، وبيان سننه تعالى في المشركين. ١٧٤
(١٩٩-٢٠٦) بيان خُلق المسلم، والرد على أهواء المضلين، والأمر بالإنصات للقرآن والإكثار من ذكر الله تعالى، وبيان حال الملائكة. ١٧٨

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة الأنعام ترتيبها (٦) آياتها (١٦٥)

(١-١١) الإشارة إلى شدّة عناد واستكبار الكافرين رغم تجلي ووضوح البراهين الإلهية.

الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِى خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِم يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلاً وَأَجَلٌ مُّسمًّى عِندَهُ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ اللُّه فِي السَّمَاوَاتِ وَفِى الأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلاَّ كَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾ فَقَدْ كَذَّبُواْ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنبَاء مَا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَرَوْاْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاء عَلَيْهِم مِّدْرَاراً وَجَعَلْنَا الأَنْهَارَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْناً آخَرِينَ ﴿٦﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَاباً فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنْ هَـذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ وَقَالُواْ لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكاً لَّقُضِىَ الأَمْرُ ثُمَّ لاَ يُنظَرُونَ ﴿٨﴾ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكاً

لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلاً وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١٠﴾ قُلْ سِيرُواْ فِي الأَرْضِ ثُمَّ انظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾

افتتح تعالى سورة الأنعام بحمد نفسه العلية وأشار إلى شدة عناد واستكبار الكافرين فقال:{ الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ} وكان خلقهما على مراحل، فكانتا شيئًا واحدًا قبل فتقهما لقوله تعالى في سورة النساء:{ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَاۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَيٍّۚ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ}﴿٣٠﴾ وكانتا دخانًا لقوله تعالى في سورة فصّلت:{ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَاۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًاۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ}﴿١٢﴾ وهذا ما تؤيده نظرية نشأة الكون المنظور وتطوره كما ورد في الموسوعة الحرة.

ثمّ ذكر تعالى آية أخرى فقال:{ وَجَعَلَ} أي وخلق{ الظُّلُمَاتِ} فيهنَّ{ وَالنُّورَ} بإبداع واتقان خلقه تعالى، فهو تعالى الذي أعطى كلّ شيءٍ خَلْقَهُ وصورته ثمّ هداه ليقوم بوظيفته لقوله تعالى في سورة طه:{ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ}﴿٥٠﴾ فالظلمات والليل هي الأصل في الكون لتقدم ذكرهما على النور والنهار في القرآن العزيز،

ولا يكون النور حتى تدخل أشعة الشمس الغلاف الجوي للأرض، الذي أعده تعالى اعدادا مبهرَا{ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ} بعد ذلك الإعجاز{ بِرَبِّهِم يَعْدِلُونَ} ويجحدون ويُشركون.

ثمّ ذكر تعالى آية ثالثة فقال:{ هُوَ الَّذِي} من ابداع خلقه وتقديره{ خَلَقَكُم مِّن طِينٍ} أي بدأ خلق الإنسان من طين لقوله تعالى في سورة السجدة:{ ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ۝٨ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ}۝٩ { ثُمَّ قَضَى أَجَلاً} لكل شيء في الكون{ وَأَجَلٌ مُّسمًّى عِندَهُ} لبعث النّاس ومجازاتهم على أعمالهم يوم القيامة، والذي لا يعلمه إلّا هو سبحانه{ ثُمَّ أَنتُمْ} معشر الكفّار{ تَمْتَرُونَ} وتشكون وترتابون.

ثمّ ذكر تعالى حقيقة أخرى فقال:{ وَهُوَ اللهُ} الذي لا إله إلّا هو{ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الأَرْضِ} لا شريك له{ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ} وما تخفيه الصدور{ وَجَهرَكُمْ} وما تبدون وتعلنون{ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ} وتعملون لا تخفى عليه خافية{ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ آيَةٍ} ومعجزة وبرهان ودليل{ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلاَّ كَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ} جاحدين كافرين{ فَقَدْ كَذَّبُواْ بِالْحَقِّ} الذي أخبرهم به تعالى{ لَمَّا جَاءهُمْ} في كتابه العزيز{ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ} في الدنيا والآخرة{ أَنبَاء} وخبر وعقوبة{ مَا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ} ثمّ قال تعالى:{ أَلَمْ يَرَوْاْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ مَا لَمْ

نُمَكِّن لَّكُمْ} كما في قوله تعالى في سورة الفجر:{ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝٧ ٱلَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي ٱلْبِلَادِ ۝٨ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ۝٩ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ۝١٠ ٱلَّذِينَ طَغَوْاْ فِي ٱلْبِلَادِ ۝١١ فَأَكْثَرُواْ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ۝١٢ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۝١٣ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ}۝١٤ ثمّ ذكر تعالى آية أخرى فقال:{ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاء عَلَيْهِم مِّدْرَاراً} غزيرًا متتابعًا{ وَجَعَلْنَا الأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ} أي بسبب ذنوبهم وكفرهم وإعراضهم واستكبارهم{ وَأَنْشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْناً} وأُمما{ آخَرِينَ}.

ثمّ أشار تعالى إلى تعنّت واستكبار الكافرين فقال:{ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ} ﷺ{ كِتَاباً} أي شيئًا من القرآن أو كاملًا{ فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ} لزادهم تكذيبًا و{ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنْ هَـذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ} لا يحتمل التصديق{ وَقَالُواْ} معاجزين محتجّين{ لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ} مؤيدًا لنؤمن، فردّ تعالى عليهم فقال:{ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكاً} كما أرادوا ثمّ كفروا{ لَّقُضِيَ الأمْرُ} بهلاكهم كما أهلك الأوّلين{ ثُمَّ لاَ يُنظَرُونَ} ولا يمهلون ليتوبوا{ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ} أي الرسول{ مَلَكاً لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلاً} أي لغيرنا صورته ليكون بصورتهم{ وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ} فالملائكة كما قال تعالى في سورة فاطر:{... جَاعِلِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَـٰثَ وَرُبَـٰعَ ...}۝١ ولكنّ حقيقة طلبهم أنّهم يستهزؤون ويستكبرون،

فحذّرهم تعالى فقال:{ وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ} ونزل{ بِالَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم} عذابًا مهلكًا بـ{ مَّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ} ويسخرون، ثمّ أمر تعالى رسوله ﷺ فقال:{ قُلْ} للكافرين{ سِيرُواْ فِي الأَرْضِ ثُمَّ انظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ} وجزاء{ الْمُكَذِّبِينَ} من نوح (ع‌س)، لعلهم يتعظون.

الملخص: -

أشار تعالى إلى شدّة عناد واستكبار واعراض الكافرين رغم تجلي ووضوح الآيات والبراهين الإلهية في خلقه تعالى للسماوات والأرض والظلمات والنور وغيرها، وبيَّن تعالى جدالهم، وحذَّرهم من عقوبته في الدنيا والآخرة التي لا تتخلّف عن أحد.

(١٢-٢٠) استمرار حوار الكافرين المستكبرين، وتكذيب أهل الكتاب عدم معرفتهم برسول الله ﷺ.

قُل لِّمَن مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُل لِلّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لاَ رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُواْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ اللّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّاً فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلاَ يُطْعَمُ قُلْ إِنِّيَ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ قُلْ إِنِّيَ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ

الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن
يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدُيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ
الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١٨﴾ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادةً قُلِ اللّهِ شَهِيدٌ بِيْنِي وَبَيْنَكُمْ
وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ أَإِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللّهِ
آلِهَةً أُخْرَى قُل لاَّ أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَـهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِىءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ
﴿١٩﴾ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءهُمُ الَّذِينَ خَسِرُواْ
أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾

لا زال الحوار مستمرًا مع الكافرين المستكبرين على الله تعالى فقال:{ قُل} وقولوا معشر المؤمنين للكافرين:{ لِّمَن} خلق وملك{ مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ} من شيء{ قُل لِلّهِ} وحده لا شريك{ كَتَبَ} وألزم{ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ} لمن استغفر وتاب وأناب، وكتب على نفسه{ لَيَجْمَعَنَّكُمْ} معشر الإنس والجن والدواب{ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ} الذي{ لاَ رَيْبَ} ولا شكّ{ فِيهِ} ف{ الَّذِينَ خَسِرُواْ أَنفُسَهُمْ} في الدنيا والآخرة بكفرهم واستكبارهم{ فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ} عقوبة لهم، ولو جاءتهم كل آية ودليل وبرهان لقوله تعالى في سورة البقرة:{ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَـٰرِهِمْ غِشَـٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ}﴿٧﴾ وذلك الختم من الّعن لقوله تعالى في سورة محمد:{ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ

وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ ٢٢ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمۡ وَأَعۡمَىٰٓ أَبۡصَٰرَهُمۡ}٢٣ { وَلَهُ} تعالى كل{ مَا سَكَنَ} في مسكنه ومأواه{ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ} فهو تعالى الذي أعطى كل شيء خِلْقَهُ ثم هدى لقوله تعالى في سورة طه:{ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ}٥٠ { وَهُوَ} تعالى{ السَّمِيعُ} لكل خلقه من ملائكة وإنس وجن ودواب ونبات وجمادات لقوله تعالى في سورة الإسراء:{ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا}٤٤ وهو{ الْعَلِيمُ} بهم الذي لا تخفى عليه خافية، و{ قُلْ} وقولوا للكافرين المستكبرين من الناس{ أَغَيْرَ اللهِ أَتَّخِذُ وَلِيّاً} وناصرًا ومؤيدًا وظهيرًا، بعد هذا الإيضاح والبيان، وهو تعالى{ فَاطِرِ} وخالق ومبدع خلق{ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ} وما فيهما من شيء{ وَهُوَ يُطْعِمُ} كل خلقه{ وَلاَ يُطْعَمُ} من أحد{ قُلْ إِنِّيَ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ} به تعالى خوفًا وطمعًا{ وَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} بالله تعالى، و{ قُلْ} للكافرين{ إِنِّيَ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ} في الآخرة، وأخاف من سننه في الدنيا قبل الآخرة لقوله تعالى في سورة آل عمران:{ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ}٥٦ فـ{ مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ} العذاب{ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ}.

ثمّ بيّن تعالى أمرًا آخر فقال:{ وَإِن يَمْسَسْكَ اللّهُ بِضُرٍّ} بعدله وعلمه وحكمته تمحيصًا أو اختبارًا أو عقوبةً{ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ} سبحانه{ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ} { فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدُيرٌ} ولما ورد في سنن الإمام الترمذي عن ابن عباس (رلع) قال: كنت خلف رسول الله ﷺ يومًا، فقال:" يا غلام إني أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجَفت الصحف"{ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ} إرادة{ عِبَادِهِ} الغالب لما يريد في كل أسمائه وصفاته، فيحيهم ويميتهم ويبعثهم متى شاء{ وَهُوَ الْحَكِيمُ} فيما يقضي ويمضي من سنن في خلقه{ الْخَبِيرُ} بعباده ولا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء.

ثمّ قال تعالى:{ قُلْ} للكافرين المعاندين{ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً} في الكون{ قُلِ اللّهِ} هو{ شَهِيدٌ بِيْنِي وَبَيْنَكُمْ} على صدقي ورسالتي، فهو تعالى الذي لا تأخذه سِنَة ولا نوم، وسبب نزول الآية كما ورد في تفسير مقاتل بن سليمان أن كفار قريش قالوا للنبي ﷺ: أَما وَجَد الله رسولًا غيرك؟ ما نرى أحدًا يصدقك بما تقول، وقد سألنا عنك أهل الكتاب، فزعموا أنه ليس لك عندهم ذكر، فمن يشهد لك أَنّ الله هُو الذي أرسلك؟ ثمّ قال تعالى:{ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنذِرَكُم بِهِ}

معشر من كفر من سننه تعالى وعقوبته في الدنيا وعذابه في الآخرة{ وَمَن بَلَغَ} الحُلم من الناس من بعدكم، ثمّ سَلهُم{ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللهِ آلِهَةً أُخْرَى} تدبر أمر السماوات والأرض ومن فيهن؟ فـ{ قُل} للكافرين:{ لاَّ أَشْهَدُ} ولا أُقر لكم بذلك، و{ قُلْ} للكافرين{ إِنَّمَا هُوَ إِلَـهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ} مما تقولون وتعبدون وتشهدون و{ مِّمَّا تُشْرِكُونَ} ثمّ كذّب الله تعالى أهل الكتاب عدم معرفتهم برسول الله ﷺ كما زعموا فقال:{ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ} من يهود ونصارى{ يَعْرِفُونَهُ} ﷺ{ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءهُمُ} فـ{ الَّذِينَ خَسِرُواْ أَنفُسَهُمْ} منهم{ فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ} برسول الله ﷺ.

الملخص: –

تابع تعالى حوار الكافرين المستكبرين، وبيّن آياته لهم وحذّرهم من عقوبة الكفر، وكذَّب أهل الكتاب عدم معرفتهم برسوله ﷺ.

(٢١-٣٢) توعد المفترين على الله الكذب والمشركين، وبيان حالهم في الدنيا ويوم القيامة.

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢١﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُواْ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلاَّ أَن قَالُواْ وَاللّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ انظُرْ كَيْفَ كَذَبُواْ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ

﴿٢٤﴾ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي
آذَانِهِمْ وَقْراً وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُواْ بِهَا حَتَّى إِذَا جَآؤُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ
الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ
وَإِن يُهْلِكُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ تَرَىَ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى النَّارِ
فَقَالُواْ يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلاَ نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ
بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ
لَكَاذِبُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالُواْ إِنْ هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ تَرَى
إِذْ وُقِفُواْ عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُواْ بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُواْ
العَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَاء اللّهِ حَتَّى إِذَا
جَاءتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُواْ يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ
أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلاَ سَاء مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَعِبٌ وَلَهْوٌ
وَلَلدَّارُ الأَخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾

لا زالت الآيات تتوعد أهل الكتاب المفترين على الله الكذب والمشركين فقال:{ وَمَنْ أَظْلَمُ} إي وليس أظلم{ مِمَّنِ افْتَرَى} واختلق{ عَلَى اللهِ كَذِباً} وبهتانًا { أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ} فأولئك تحلُّ عليهم لعنة الله تعالى لقوله تعالى في سورة هود:{ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ}﴿١٨﴾ ومن سننه تعالى{ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ}

في الدنيا والآخرة، لقوله تعالى في سورة النساء:{ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ طَرِيقًا ١٦٨ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا}١٦٩.

ثمّ بيّن تعالى حالهم يوم القيامة فقال:{ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً} أي الكافرين والمشركين{ ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُواْ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ} وتدّعون أنّها تشفع لكم يوم القيامة{ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ} ومعذرتهم{ إِلاَّ أَن قَالُواْ} مقسمين كذبًا عند الله{ وَاللهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ} فيقول تعالى مستنكرًا{ انظُرْ كَيْفَ كَذَبُواْ عَلَى أَنفُسِهِمْ} في الدنيا، وكذبوا في الآخرة{ وَضَلَّ} وغاب{ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ} ويكذبون ويشركون{ وَمِنْهُم} أي من المكذبين والمشركين{ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ} القرآن مستهزئين مصرين على كفرهم وشركهم{ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً} وحجابًا عقوبةً لهم{ أَن يَفْقَهُوهُ} حتى لا يفهموه كعقوبة أولى{ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً} أي ويجعل تعالى في آذانهم ثِقل سمعٍ عقوبة أخرى لكذبهم وشركهم{ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ آيَةٍ} ودليل وبرهان{ لاَّ يُؤْمِنُواْ بِهَا} عقوبة ثالثة{ حَتَّى إِذَا جَآؤُوكَ} ﷺ{ يُجَادِلُونَكَ} فيما أُوحي إليك، و{ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ} وروايات وخرفات{ الأَوَّلِينَ} الغابرين{ وَهُمْ} في الحقيقة{ يَنْهَوْنَ} النّاس{ عَنْهُ} أي عن سماع القرآن والإيمان به{ وَيَنْأَوْنَ} ويبتعدون{ عَنْهُ} وعن مراده وشرعه{ وَإِن يُهْلِكُونَ}

بفعلهم ومحاجتهم واستكبارهم{ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ} في الدنيا والآخرة{ وَمَا يَشْعُرُونَ} ولا يدركون.

ثمّ بيّن تعالى حالهم يوم القيامة فقال:{ وَلَوْ تَرَىٰ} أي الذين كفروا وأشركوا{ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى النَّارِ} ليلقوا فيها{ فَقَالُواْ يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ} إلى الدنيا{ وَلاَ نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بَلْ} الحقيقة أن قد{ بَدَا} وظهر وتجلّى{ لَهُم} عذاب وعقوبة{ مَّا كَانُواْ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ} في صدورهم من كفر وشرك، ثمّ أكّد تعالى كفرهم وشركهم فقال:{ وَلَوْ رُدُّواْ} إلى الدنيا كما زعموا{ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ} من كفر وشرك{ وَإِنَّهُمْ} حقيقةً{ لَكَاذِبُونَ}.

ثمّ بيّن تعالى سلوكهم في الدنيا فقال:{ وَقَالُواْ إِنْ هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا} أي لا قيامة ولا حساب{ وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ} مرة أخرى{ وَلَوْ تَرَى} واطلعت{ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى رَبِّهِمْ} للحساب، و{ قَالَ} تعالى لهم{ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ} الذي كنتم به تكذبون{ قَالُواْ بَلَى وَرَبِّنَا} { قَالَ فَذُوقُواْ العَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ} وتشركون، كقوله تعالى في سورة البقرة:{ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَـٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ}﴿١٦٢﴾.

ثمّ أكّد تعالى فقال:{ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَاء اللهِ} يوم القيامة{ حَتَّى إِذَا جَاءتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً} في الأجل المسمى{ قَالُواْ يَا حَسْرَتَنَا}

وخسارتنا{ عَلَى مَا فَرَّطْنَا} وقصّرنا{ فِيهَا} أي في الدنيا{ وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ} وخطيئة ذنوبهم{ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلاَ سَاء} وخبث{ مَا يَزِرُونَ} ويحملون.

ثمّ حذَّر تعالى المؤمنين قائلا:{ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ} كقوله تعالى في سورة الحديد:{ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْأَخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ}﴿٢٠﴾.

الملخص: –

توعد الله تعالى المفترين على الله الكذب يوم القيامة والمشركين، وبيّن حقيقة أعمالهم وجزاءهم في الآخرة، وحذّر تعالى من اتخاذ الحياة الدنيا لعب ولهو كما يفعل الكافرون والمشركون.

(٣٣-٤٥) تأكيد تعنت وإصرار الكافرين والمشركين، والأمر بالصبر حتى يقضي ما يشاء الله فيهم، وبيان أنّ سننه تعالى ماضية فيهم.

قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَى مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللّهِ وَلَقَدْ جَاءكَ مِن

نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ
نَفَقاً فِي الأَرْضِ أَوْ سُلَّماً فِي السَّمَاء فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ وَلَوْ شَاء اللّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى
الْهُدَى فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٥﴾ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ
وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾ وَقَالُواْ لَوْلاَ نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ
قُلْ إِنَّ اللّهَ قَادِرٌ عَلَى أَن يُنَزِّلَ آيَةً وَلَـكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾ وَمَا مِن
دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي
الكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا صُمٌّ
وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَن يَشَإِ اللّهُ يُضْلِلْهُ وَمَنذ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ
مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُكُم إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ
اللّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ
إِنْ شَاء وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلنَا إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ
بِالْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلا إِذْ جَاءهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ
وَلَـكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُواْ
مَا ذُكِّرُواْ بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُواْ بِمَا أُوتُواْ
أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ وَالْحَمْدُ
لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٥﴾

يبيّن تعالى حقيقة الكافرين والمشركين فقال:{ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ} من تكذيب وجحود{ فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ} الحقيقة أنّ{

الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللهِ} ومعجزاته وبراهينه{ يَجْحَدُونَ} ويُنكرون، ونزلت الآية كما ورد في تفسير مقاتل بن سليمان مختصرًا أنّ الحارث بن عامر بن نَوفَل كان يُكَذِّب النبي ﷺ في العلانية، فإذا خلا مع أهل ثقته قال: ما محمد من أهل الكذب، وإني لأحسبه صادقًا، وإذا لقي النبي ﷺ قال: إنّا لنعلم أن هذا الذي تقول حق، وإنه لا يمنعنا أن نتبع الهدى معك إلا مخافة أن يتخطفنا الناس، يعني العرب، من أرضنا، ولا طاقة لنا بهم، ولما ورد في تفسير الطبري مختصرًا أنّه لما كان يوم بدر قال الأخنس لبني زُهرة: إن محمدًا ابن أُختِكم، فأنتم أحق من كفّ عنه، فإنه إن كان نبيًّا لم تقاتلوه اليوم، وإن كان كاذبًا كنتم أحق من كفّ عن ابن أخته! فالتقى بأبي جهل، فقال الأخنس: يا أبا الحكم أخبرني عن محمد، أصادقٌ هو أم كاذب؟ فقال أبو جهل: ويحك، والله إن محمدًا لصادق، وما كذب محمد قط، ولكن إذا ذهب بنو قُصَيّ باللواء والحجابة والسقاية والنبوة، فماذا يكون لسائر قريش؟

ثمّ حث تعالى رسوله ﷺ على الصبر فقال:{ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَى مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ} قولًا وقتالًا{ حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا} الذي وعدناهم{ وَلاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ} وعُهوده ووعوده{ وَلَقَدْ جَاءكَ} في القرآن أمثال{ مِن نَّبَإِ} نصر{ الْمُرْسَلِينَ} الذي لا يتخلف عنهم{ وَإِن كَانَ كَبُرَ} وعظم وشقّ{ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ} عن الهُدى{ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقاً فِي الأَرْضِ أَوْ سُلَّماً فِي السَّمَاء فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ} أفضل مما

أتيناهم به ففعل، ولكنّهم بآيات الله يجحدون{ وَلَوْ شَاء اللّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى} دون عناء، ولكنّ اقتضت سننه تعالى أن لا يهدي القوم الظالمين المستكبرين{ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ} حكمته تعالى وسننه.

ثمّ بيّن تعالى مستحقّي الهداية فقال:{ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ} الهُدى{ وَالْمَوْتَى} قلوبهم كالكافرين المستكبرين والمشركين{ يَبْعَثُهُمُ اللّهُ} يوم القيامة{ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ} ليجدوا جزاء تعنُّتهم، ثمّ ذكر تعالى أقوالهم فقال:{ وَقَالُواْ} مستهزئين{ لَوْلاَ نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ} لنؤمن بها، فـ{ قُلْ إِنَّ اللّهَ قَادِرٌ عَلَى أَن يُنَزِّلٍ آيَةً} ومُعجزة{ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ} عقوبة كفرهم بآيات الله إذا جاءت.

ثمّ أكّد تعالى جمع الخلائق يوم القيامة للحساب فقال:{ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ} وهي{ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم} يحفظ تعالى أعمالهم{ مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ} من أعمال العباد{ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ} فيحاسبهم كما سيحاسبكم{ وَالَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ} لا تنفعهم الآيات والمعجزات، وهم{ فِي الظُّلُمَاتِ} لا يبصرون ولا يهتدون، فـ{ مَن يَشَإِ اللّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ} بعلمه تعالى حقيقة ما في الصدور، وبعدله وبحكمته ولا يظلم ربك أحدًا في الدنيا ولا في الآخرة، ثمّ ذكر تعالى حقيقةً غفلوا عنها فقال:{ قُلْ} لهم{ أَرَأَيْتُكُم إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللّهِ} في الدنيا{ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ} في الأجل المسمى عنده تعالى{ أَغَيْرَ اللّهِ تَدْعُونَ} ليكشف عنكم العذاب أو تأجيل

الساعة{ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ} في كفركم وشِرككم{ بَلْ} الحقيقة أنّكم{ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاء} بعدله وحكمته{ وَتَنسَوْنَ مَا} كنتم{ تُشْرِكُونَ} من آلهة{ وَلَقَدْ أَرْسَلنَا} رسلًا{ إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ} ويتوبون{ فَلَوْلا إِذْ جَاءهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ} لنكشف عنهم العذاب والعقوبات{ وَلَـكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ} فلم يتضرعوا{ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ} من شرك وجحود{ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ} وما حذّروا منه استدرجناهم و{ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ} يحبون ويطمعون{ حَتَّى إِذَا فَرِحُواْ بِمَا أُوتُواْ} من نِعم{ أَخَذْنَاهُم} بعذاب{ بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ} متحسرون{ فَقُطِعَ} وأُهلك ومُحق{ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ} بكفرهم واستكبارهم{ وَالْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} على عدله وقضائه.

الملخص: –

بيّن تعالى حقيقة كفر الكافرين والمشركين، وأكد تعنتهم وإصرارهم، وأنّ الآيات والمعجزات لا تنفعهم، وسننه تعالى ماضيةً فيهم كما مضت فيمن قبلهم.

(٤٦-٥١) الرد على حجج المستكبرين، وبيان أنّ تبليغ الرسالة هو واجبات الرسل، وتحذير الكافرين من عقوبة الإصرار على الكفر.

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَـهٌ غَيْرُ اللّهِ يَأْتِيكُم بِهِ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾ قُلْ

أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلاَّ الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾ قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ اللّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلاَ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾ وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُواْ إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلاَ شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾

لا زال الخطاب في مُحاجة الكافرين بنبوته ﷺ وابطال دعواهم فقال تعالى:{ قُلْ} للكافرين بنبوتك:{ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ} وسلب{ اللهُ} عنكم{ سَمْعَكُمْ} فأصمكم فلم تسمعوا شيئًا{ وَأَبْصَارَكُمْ} أي وأخذ ونور أعينكم فأعماكم{ وَخَتَمَ} وطمس وطبع{ عَلَى قُلُوبِكُم} فأصبحتم لا تفقهوا شيئًا كالبهائم{ مَّنْ إِلَـهٌ غَيْرُ اللهِ يَأْتِيكُم بِهِ} ويردّه عليكم{ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ} ونبيّن لهم{ الآيَاتِ} والحجج والبراهين{ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ} ويفترون ويُكَذِّبون، ثمّ{ قُلْ} للمكذبين بنبوتك{ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللهِ} في الدنيا كما حلّ بالأمم التي قبلكم كما قال تعالى في سورة غافر:{ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْۖ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُۖ وَجَٰدَلُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ}﴿٥﴾ أو أتاكم عذابه تعالى{ بَغْتَةً} فصرعكم{ أَوْ جَهْرَةً} وأنتم تنظرون، كقوله

تعالى في سورة البقرة:{ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ}﴿٥٥﴾ فـ{ هَلْ يُهْلَكُ} بسنن الله تعالى في الدنيا{ إِلاَّ الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ} المستكبرون المتعنتون.

ثمّ بيّن تعالى واجب الرسل فقال:{ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ} للناس{ إِلاَّ} ليكونوا{ مُبَشِّرِينَ} للذين آمنوا{ وَمُنذِرِينَ} لمن كفر واستكبر، أمّا هدايتهم فبيد الله تعالى، لعلمه حقيقة ما في الصدور لقوله تعالى في سورة الزمر:{ إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ}﴿٤١﴾ وكقوله تعالى في سورة ق:{ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ ۖ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ}﴿٤٥﴾ { فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ} في الدنيا{ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ} في الدنيا والآخرة { وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ} فيهما لقوله تعالى في سورة يونس:{ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ}﴿٦٤﴾ { وَالَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا} وهدينا{ يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ} في الدنيا والآخرة{ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ} أي بسبب ما يعصون ويصدُّون، كقوله تعالى في سورة آل عمران:{ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ}﴿٥٦﴾.

ثمّ{ قُل} للمكذِّبين برسالتك{ لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي} مُلك{ خَزَآئِنُ اللهِ} لأعطيكم منها ما تشتهون إن آمنتم{ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ} الذي لا يعلمه إلّا الله، وما هو فاعل بكم{ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ} لتصدقوني وتؤمنوا بي، فما أنا إلّا بشرًا رسولًا، و{ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ} من أمر ربي، و{ قُلْ} لهم فـ{ هَلْ يَسْتَوِي} ويتعادل ويتكافأ عندكم{ الأَعْمَى} عن الحق وهدي الله تعالى{ وَالْبَصِيرُ} بنور ربه وهو على صراط مستقيم{ أَفَلاَ تَتَفَكَّرُونَ} وتعقلون.

ثمّ يقول تعالى:{ وَأَنذِرْ بِهِ} أي بالقرآن العزيز{ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُواْ إِلَى رَبِّهِمْ} يوم القيامة، وهم موقنون أنّ{ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ} تعالى من{ وَلِيٌّ} يهديهم وينصرهم ويؤيدهم{ وَلاَ شَفِيعٌ} يشفع لهم في الآخرة{ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ} عذاب الله تعالى وسننه وعقوباته.

الملخص: –

دحض تعالى حجج المستكبرين على الله تعالى، وبيّن أنّ واجب الرسل تبليغ الرسالة، أمّا هدايتهم فلله وحده لعلمه ما في الصدور.

(٥٢-٥٨) الإرشاد بملازمة المؤمنين وعدم الصد عنهم، والنهي عن اتباع رغبات الكافرين، وبيان أن الجزاء في الدنيا والآخرة بيده تعالى.

وَلاَ تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ

الظَّالِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولواْ أَهَـؤُلاء مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴿٥٣﴾ وَإِذَا جَاءكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنكُمْ سُوءاً بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾ وَكَذَلِكَ نفَصِّلُ الآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾ قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ قُل لاَّ أَتَّبِعُ أَهْوَاءكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذاً وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِ مَا عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ ﴿٥٧﴾ قُل لَّوْ أَنَّ عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ ﴿٥٨﴾

أرشد تعالى رسوله ﷺ فقال:{ وَلاَ تَطْرُدِ} أي ولا تُقِم عنك ولا تُبعد{ الَّذِينَ يَدْعُونَ} ويلازمون عبادة{ رَبَّهُم} ودعائه{ بِالْغَدَاةِ} من أوّل النهار{ وَالْعَشِيِّ} إلى آخره مبتهلين لربهم{ يُرِيدُونَ} بمجالستك{ وَجْهَهُ} تعالى والاستدامة في مراقبته ورضاه وتقواه، فـ{ مَا عَلَيْكَ} في الدنيا ولا في الآخرة{ مِنْ حِسَابِهِم} وجزائهم{ مِّن شَيْءٍ} عَمِلوه أو أخفته صدورهم{ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ} وجزائك في الدنيا والآخرة{ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ} فكل نفس بما كسبت رهينة{ فَتَطْرُدَهُمْ} وتقيمُهم وتبعُدهم{ فَتَكُونَ} بذلك إن فعلت{ مِنَ الظَّالِمِينَ} ولا تجد لك من دون الله نصيرًا، كقول نوح (ع‌س) لقومه

في سورة هود:{ وَيَٰقَوۡمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمۡۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ}﴿٣٠﴾ وسبب نزول الآية كما ورد في تفسير الطبري مختصرًا، جاء كبار قريش كالأقرع بن حابس وعيينة بن حصن، فوجدوا النبي ﷺ قاعدًا مع ضُعفاء المسلمين كبلال وصهيب وعمّار وخباب، فلما رَأوهُم حوله حَقَرُوهم، فقالوا: إنا نحب أن تجعل لنا منك مجلسًا تَعرِف لنا العرب به فضلنا، ونستحيي أن ترانا العرب مع هؤلاء الأَعْبُد، فإذا جئناك فأقمهم عنا، فإذا فرغنا فاقعد معهم إن شئت! قال: نعم! قالوا: فاكتب لنا عليك بذلك كتابًا، فدعا بالصحيفة، ودعا عليًا ليكتب فنزلت.

ثمّ قال تعالى:{ وَكَذَٰلِكَ} أي من سننه تعالى{ فَتَنَّا} واختبرنا صدق إيمان{ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ} و{ لِّيَقُولواْ} أي وليقول وجهاء قريش المستكبرين{ أَهَٰؤُلاء} العبيد الفقراء الضعفاء{ مَنَّ} وجاد وتفضَّل{ اللّهُ عَلَيْهِم} وهداهم{ مِّن بَيْنِنَا} ونحن أشراف القوم، فقل لهم{ أَلَيْسَ اللّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ} فيُدْنِيهم ويقربهم منه.

ثمّ أرشد تعالى رسوله ﷺ فقال:{ وَإِذَا جَاءكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ} لهم مُرحبًا{ سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ} من ربكم في الدنيا والآخرة{ كَتَبَ} وفرض وألزم{ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ} لكم بإيمانهم، وبِشّرهم{ أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنكُمْ سُوءاً} ايًان كان{ بِجَهَالَةٍ} وبغير قصد{ ثُمَّ تَابَ} عن فعله فلم يعاوده ولم يصرَّ عليه{ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ} في نيَّته وعمله{ فَأَنَّهُ} تعالى{ غَفُورٌ} لعباده{ رَّحِيمٌ} بهم.

ثمّ قال تعالى:{ وَكَذَلِكَ} وبمثل هذه البيان{ نفَصِّلُ} ونستفيض في إبانة{ الآيَاتِ} والدلائل والبراهين لمحبته تعالى لعباده المخلصين{ وَلِتَسْتَبِينَ} وليتبيّن لك{ سَبِيلُ} ونهج وسلوك{ الْمُجْرِمِينَ} العاصين المستكبرين، و{ قُلْ} لهم{ إِنِّي نُهِيتُ} من ربي{ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ} من شركاء وأوثان وأصنام{ مِن دُونِ اللهِ} و{ قُل} لهم{ لاَّ أَتَّبِعُ أَهْوَاءكُمْ} وما ترغبون فيه من طرد وإبعاد ضعفاء المؤمنين وإقامتهم عنّي، فلا جلوس إلا معهم، فـ{ قَدْ ضَلَلْتُ} عن هدي ربي{ إِذاً} إن فعلت ما ترجون وتريدون عند حضرتكم{ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُهْتَدِينَ} لأمر ربي، و{ قُلْ} للمستكبرين{ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ} ووضوح وجلاء ورشدٍ ويقين{ مِّن رَّبِّي} لا شك ولا ريب فيه{ وَكَذَّبْتُم} باستكباركم وتعنتكم{ بِهِ} فـ{ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ} من نِقم وعقوبات{ إِنِ الْحُكْمُ} والأمر{ إِلاَّ لِلّهِ} تعالى فهو{ يَقُصُّ} ويقضي ويحكم بـ{ الْحَقَّ} والعدل{ وَهُوَ} تعالى{ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ} الحاكمين، و{ قُل} للمعرضين عن هدي الله تعالى{ لَّوْ أَنَّ عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ} من حكم{ لَقُضِيَ} وحُكم{ الأَمْرُ} فيما نختلف فيه{ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللهُ أَعْلَمُ} مني{ بِالظَّالِمِينَ} المستكبرين، فيجازيهم في الدنيا والآخرة بعلمه وعدله حكمته، وما ربك بظلام للعبيد.

الملخص: -

أرشد تعالى رسوله ﷺ إلى ملازمة المؤمنين، والإعراض عن رغبات المستكبرين لإبعاد فقراء المسلمين عند حضرتهم، وبيّن أنّ الحكم في جزاء المستكبرين بيده سبحانه.

(٥٩-٦٧)الجزم بأنّ إذن كلّ شيء في الكون بيده تعالى، وبيّن الأدلة والبراهين على ذلك، وتأكيد إعراض والمستكبرين.

وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ وَهُوَ الَّذِى يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُم حَفَظَةً حَتَّىَ إِذَا جَاء أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لاَ يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّواْ إِلَى اللّهِ مَوْلاَهُمُ الْحَقِّ أَلاَ لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴿٦٢﴾ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَانَا مِنْ هَـذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ اللّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾

بيّن تعالى أنّه لا يكون شيئًا في الكون إلّا بإذنه ومشيئته فقال:{ وَعِندَهُ} وحده مُلك{ مَفَاتِحُ} جمع مَفتَح أو مِفتاح، أي الإذن والمشيئة لكل ما يجري في{ الْغَيْبِ} في السماوات والأرض، وإمضاء سننه في خلقه ومجازاتهم على أعمالهم في الدنيا قبل الآخرة كقوله تعالى في سورة هود:{ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ}﴿١٢٣﴾ { لاَ يَعْلَمُهَا} ولا يعرف أجَلُها وحِينها{ إِلاَّ هُوَ} سبحانه{ وَيَعْلَمُ} كل{ مَا} يكون{ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ} في الكون{ إِلاَّ يَعْلَمُهَا} وفي كتاب{ وَلاَ حَبَّةٍ} ولا بذرةٍ ولا نواةٍ{ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ} إلّا يعلمها{ وَلاَ رَطْبٍ} أي ولا يكون شيئًا رطبًا في السماوات والأرض{ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ} مُسطرٍ و{ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ}.

ثمّ قال تعالى:{ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم} فيلقي النوم عليكم{ بِاللَّيْلِ} كقوله تعالى في سورة الزمر:{ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَاۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّىۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}﴿٤٢﴾ { وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم} وما كسبتم وما أذنبتم{ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ} أي في النهار{ لِيُقْضَى} لكل مَخلُوقٍ{ أَجَلٌ مُّسَمًّى} معلوم عنده تعالى{ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ} يوم القيامة{ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} لا تخفى عليه خافية.

{ وَهُوَ} تعالى{ الْقَاهِرُ} في كل أسمائه وصفاته{ فَوْقَ} إرادة{ عِبَادِهِ} بسننه ونواميسه وفطرته وقضائه وقدره، فيصورهم في بطون أمّهاتهم ويميتهم ويبعثهم متى شاء كقوله تعالى في سورة الإنسان:{ نَّحْنُ خَلَقْنَـٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ ۖ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَـٰلَهُمْ تَبْدِيلًا}﴿٢٨﴾ { وَيُرْسِلُ عَلَيْكُم} ملائكة{ حَفَظَةً} كقوله تعالى في سورة الانفطار:{ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَـٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَـٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ}﴿١٢﴾ لا تخفى عليه خافية{ حَتَّىَ إِذَا جَاء أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا} الملائكة الموكلون{ وَهُمْ لاَ يُفَرِّطُونَ} ولا يتجاوزون{ ثُمَّ رُدُّواْ إِلَى اللهِ مَوْلاَهُمُ الْحَقِّ} وخسِرَ هنالك المشركون{ أَلاَ لَهُ} وحده{ الْحُكْمُ} والفصل بين خلقه{ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ} فيحاسبهم في وقت واحد كما يرزقهم ويسمعهم ويعلم ما في صدورهم في آن واحد.

ثمّ قال تعالى:{ قُلْ} للناس مؤمنهم وكافرهم{ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَاتِ} أي من أهوال وشدائد{ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ} فـ{ تَدْعُونَهُ} عند نزولها جهرًا وعلنًا{ تَضَرُّعاً} واسترحامًا وتوسُّلًا وابتهالًا{ وَخُفْيَةً} في السِّر، متضرعين{ لَّئِنْ أَنجَانَا مِنْ هَـذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ} المؤمنين الحامدين، و{ قُلِ} لهم{ اللهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ} وضُر{ ثُمَّ أَنتُمْ} بعد كشف الضر{ تُشْرِكُونَ} و{ قُلْ} لهم، و{ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِّن فَوْقِكُمْ} كالصواعق أو يمطركم بحجارة من السماء{ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ} بالزلازل والبراكين وخسف الأرض{ أَوْ يَلْبِسَكُمْ}

فيجعلكم{ شِيَعاً} وأحزابًا بذنوبكم{ وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ} وشِدة وقسوة وظُلم{ بَعْضٍ} فـ{ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ} ونُفصل ونشرح{ الآيَاتِ} والقدرات والدلائل والبراهين{ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ} عظيم قُدرته وعلمه{ وَكَذَّبَ بِهِ} أي بالقرآن العزيز{ قَوْمُكَ} من قريش وغيرهم{ وَهُوَ الْحَقُّ} من عند الله تعالى، فـ{ قُل} لهم{ لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ} لتؤمنوا، فهو تعالى يهدي من يشاء بعلمه ما في الصدور، فـ{ لِّكُلِّ نَبَإٍ} وعلمٍ وخبرٍ من الله{ مُّسْتَقَرٌّ} وثبوتٌ وواقِع{ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ} صدق ما أخبركم به تعالى في أجله.

الملخص: -

بيّن تعالى أنّ إذن كلّ شيء في الكون بيده ومشيئته، وأنّه أحاط بكل شيء علمًا مبَيَّنًا بالأمثال والحجج والبراهين، ولكنّ المستكبرون معرضون.

(٦٨-٧٣) النهي عن مجالسة المستهزئين بالله تعالى وآياته ومحاجّتهم، والأمر بالتمسك بدينه تعالى وشرعه.

وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلاَ تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَلَـكِن ذِكْرَى لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾ وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِباً وَلَهْواً وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكِّرْ

بِهِ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللّهِ وَلِيٌّ وَلاَ شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لاَّ يُؤْخَذْ مِنْهَا أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ قُلْ أَنَدْعُو مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَنفَعُنَا وَلاَ يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللّهُ كَالَّذِى اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللّهِ هُوَ الْهُدَىَ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾ وَأَنْ أَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَاتَّقُوهُ وَهُوَ الَّذِىَ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾ وَهُوَ الَّذِى خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّوَرِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾

واجب الرسول ﷺ وأمته تبليغ الرسالة للناس، إلّا أنّ الله تعالى نهى عن مجالسة المستهزئين الذين يخضون في آيات الله تعالى فقال تعالى:{ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ} بالرَّد على رسوله ﷺ مكذّبين مستهزئين{ فِي آيَاتِنَا} وما أوحي إليه ﷺ{ فَأَعْرِضْ} وصدّ{ عَنْهُمْ} ودع دعوتهم ومجالستهم{ حَتَّى} ينتهوا و{ يَخُوضُواْ} ويتحدثوا{ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ} وسبب نزول الآية كما ورد في تفسير الطبري مختصرًا كان المشركون إذا جالسوا المؤمنين وقعوا في النبي ﷺ والقرآن فسبوه واستهزئوا، فأمرهم الله أن لا يقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث

غيره{ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ} فجالستهم لتدعوهم للإيمان بالله تعالى{ فَلاَ تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى} فبادر باعتزالهم ولا تقعد{ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ}.

ثم قال تعالى:{ وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم} أي من حساب وجرم المستهزئين{ مِّن شَيْءٍ وَلَـكِن ذِكْرَى} لك وللمؤمنين عن مجالستهم{ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ} فيتركوا استهزائهم وتقوُّلهم، كقوله تعالى في سورة النساء:{ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَـٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱلْكَـٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا}﴿١٤٠﴾.

ثمّ أرشد تعالى رسوله ﷺ والمؤمنين بأمر آخر فقال:{ وَذَرِ} وترك وابتعد عن{ الَّذِينَ اتَّخَذُواْ دِينَهُمْ} والإيمان بالله تعالى ورسوله ﷺ والاستمساك بشرعه تعالى{ لَعِباً وَلَهْواً} وإهمالهم النصح دون اكتراث{ وَغَرَّتْهُمُ} وأعجبتهم وبهرتهم{ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا} وزينتها{ وَذَكِّرْ} الكافرين والغافلين{ بِهِ} أي بالقرآن العزيز{ أَن تُبْسَلَ} أي حتى لا تهلك{ نَفْسٌ} وترتكس في جهنم{ بِمَا كَسَبَتْ} أي بسبب ما كسبت من كفر أو غفلة عن الإيمان، فـ{ لَيْسَ لَهَا} بسبب كفرها وغفلتها{ مِن دُونِ اللهِ وَلِيٌّ} ينصرها{ وَلاَ شَفِيعٌ} يشفع لها في الآخرة{ وَإِن تَعْدِلْ} تلك النفس الغافلة والمستكبرة{ كُلَّ عَدْلٍ} وفداء عن ذنوبها وجرمها{ لاَّ يُؤْخَذْ مِنْهَا} بعد تبليغها، فـ{ أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُواْ} وأُهلكوا{ بِمَا كَسَبُواْ} من إعراض واستكبار واستهزاء وغفلة، فـ{ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ} في غاية حرّه{

وَعَذَابٌ أَلِيمٌ} يوم القيامة{ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ} ويُكَذِّبون، كقوله تعالى في سورة آل عمران:{ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ}﴿٩١﴾.

و{ قُلْ} لهم أتريدوننا أن{ أَنَدْعُو مِن دُونِ اللهِ مَا لاَ يَنفَعُنَا وَلاَ يَضُرُّنَا} لتؤمنوا{ وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا} كفَّارًا وإلى جهنم{ بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللهُ} لدينه فنكون{ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ} وغرته{ الشَّيَاطِينُ فِي الأَرْضِ} فأصبح{ حَيْرَانَ} لا يهتدي للهدى، و{ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى} والدين الحق قائلين{ ائْتِنَا} وآمن معنا، و{ قُلْ} لهم{ إِنَّ هُدَى اللهِ هُوَ الْهُدَىَ} والواجب اتباعه{ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ} ونستسلم{ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ} وهديه ودينه ونوره وشرعه.

ثمّ قال تعالى لعباده المؤمنين:{ وَأَنْ أَقِيمُواْ الصَّلاَةَ} أي واستمسكوا بإقامة الصلاة ولا تضيعوا شيئًا منها{ وَاتَّقُوهُ} تعالى في كل ما أمر وما نهى{ وَهُوَ الَّذِيَ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ} يوم القيامة فيجازيكم على ما كسبتم{ وَهُوَ} تعالى{ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ} الواضح المبين{ وَيَوْمَ يَقُولُ} لشيء{ كُن فَيَكُونُ} لا محالة، فـ{ قَوْلُهُ} ودينه وهُداه{ الْحَقُّ} الظاهر الجلي{ وَلَهُ} تعالى{ الْمُلْكُ} التام لا منازع له{ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّوَرِ} وهو تعالى{ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ} في السماوات والأرض{

وَهُوَ الْحَكِيمُ} في حُكمه وقضائه وقدره{ الْخَبِيرُ} بكل شي وما تخفيه الصدور.

الملخص: -

الأمر بترك مجالسة المستهزئين بالله تعالى وآياته ومحاجتهم، والأمر بالثبات على دينه تعالى وهديه.

(٧٤-٨٣) التذكير بدَحْض إبراهيم (ع‌س) عبادة عمّه وقومه للنجوم، بما أمده تعالى من يقينُ بملكوت السماوات والأرض، وتَبَرُّئِه مما يعبدون.

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَاماً آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَلِكَ نُرِى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَباً قَالَ هَـذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغاً قَالَ هَـذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَـذَا رَبِّي هَـذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِىءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِى فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَآجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلاَ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلاَّ أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئاً وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَىْءٍ عِلْماً أَفَلاَ تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلاَ تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ

عَلَيْكُمْ سُلْطَاناً فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاء إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾

يذَكِّر الله تعالى بما أمدَّ به إبراهيم (ع‌س) من حجج على قومِه فقال:{ وَإِذْ} أي ويوم أو ولمّا{ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ آزَرَ} وهو عَمّه، والذي تبرأ منه في قوله تعالى في سورة التوبة:{ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُۚ ...}﴿١١٤﴾ أما والديه (ع‌س) فقد استغفر لهما عند كِبَرِه في قوله تعالى في سورة إبراهيم على لسانه (ع‌س) وقال:{ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِىۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ}﴿٤١﴾ فالوالدان هما الأب والأم، أمّا الأبوان فلهم معانٍ أخر كما تبيّن، وورد ذكر الأبوان في القرآن في قوله تعالى في سورة يوسف:{ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُواْ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًاۖ ...} والمرأة المشار إليها في الآية ليست أم يوسف (ع‌س) ولكنها زوجة أبيه يعقوب (ع‌س).

فحاجَّ إبراهيم (ع‌س) عمَّه قائلًا:{ أَتَتَّخِذُ أَصْنَاماً} لا تنفع ولا تضر{ آلِهَةً} تُعبَد من دون الله، فـ{ إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلاَلٍ} عن هدي الله{ مُّبِينٍ} جلي واضحٍ{ وَكَذَلِكَ نُرِي} ونُبصِّر{ إِبْرَاهِيمَ} بـ{ مَلَكُوتَ} أي ملك وسلطان الله تعالى في{ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ} كقوله تعالى في سورة الأعراف:{ أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ}﴿١٨٥﴾ فأرى تعالى إبراهيم (ع‌س) ما شاء من آيات ليجادل قومه{ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ} بالله تعالى، والذي زاد يقينه (ع‌س)، فجادل قومه وأثبت بطلان عقيدتهم من عبادة النجوم{ فَلَمَّا جَنَّ} وأظلم{ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَباً} في السماء فـ{ قَالَ} لهم{ هَـذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ} وغاب دون الأفق{ قَالَ} لعمِّه وقومه ليوقظ عقولهم{ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ} وفيه ذلك إشارة إلى أنّ الرب المستحق للعبادة لا يغيب عن عباده، فلا طائل من عبادة الكوكب، ثمّ احتال حيلة ثانية{ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغاً} مشرقًا{ قَالَ} لهم{ هَـذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ} وغاب في الأفق{ قَالَ} لهم{ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي} للحق{ لأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ} عن هديه تعالى{ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ} لقومه{ هَـذَا رَبِّي هَـذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ} وغابت كما تغيب الكواكب والنجوم{ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ} بالله من كواكب، وقال:{ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ} وخلق{ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفاً} موحدًا مخلصًا{ وَمَا أَنَاْ مِنَ

الْمُشْرِكِينَ} بالله تعالى{ وَحَآجَّهُ} وجادله{ قَوْمُهُ} فـ{ قَالَ} لهم{ أَتُحَاجُّونِّي} وتجادلونني{ فِي} عبادة{ اللهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلاَ أَخَافُ} عقوبة{ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ} من كواكب{ إِلاَّ أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئاً} من ضُر فيصيبني{ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً} وآلهتكم لا تعلم شيئًا{ أَفَلاَ تَتَذَكَّرُونَ} وتؤمنون، ثمّ حجّهم بأخرى فقال:{ وَكَيْفَ أَخَافُ} ضُر وعُقوبة{ مَا أَشْرَكْتُمْ} من كواكب ونُجوم{ وَلاَ تَخَافُونَ} عقوبة الله تعالى بسبب{ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَاناً} ولا دليل ولا برهان{ فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ} منّا{ أَحَقُّ بِالأَمْنِ} من عقوبة الله في الدنيا والآخرة{ إِن كُنتُمْ} حقًا{ تَعْلَمُونَ} وتؤمنون.

ثمّ أكّد تعالى فقال:{ الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ} أي ولم يتخلل{ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ} من معصية أو شرك، فـ{ أُوْلَـئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ} في الدنيا والآخرة لقوله تعالى في سورة يونس:{ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴿٦٤﴾ { وَهُم مُّهْتَدُونَ} بهدي الله تعالى لهم{ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا} وبراهيننا{ آتَيْنَاهَا} وعلمناها{ إِبْرَاهِيمَ} (ع س){ عَلَى قَوْمِهِ} ليبطل دعواهم، ثمّ أشار تعالى إلى سننه فقال:{ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاء} من عبادنا{ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ} في كل شأنه، وفي هدايته لعباده الصالحين، وفي حُكمه وقضاءه وقدره{ عَلِيمٌ} بكل خلقه لا تخفى عليه خافية.

الملخص: -

دَحَضَ إبراهيم (ع‌س) عبادة عمِّه وقومِه للنجوم، بما أمده تعالى من حجج ويقينُ بملكوت السماوات والأرض وتبرأ مما يعبدون.

(٨٤-٩٢) بيان مكافئة إبراهيم (ع‌س) والأنبياء من قبله ومن بعده، ومعاتبة أهل الكتاب لكفرهم، وتأكيد بركة القرآن وتكفله تعالى بحفظه.

وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلاًّ هَدَيْنَا وَنُوحاً هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطاً وَكُلاًّ فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَلِكَ هُدَى اللّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَـؤُلاء فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْماً لَّيْسُواْ بِهَا بِكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٠﴾ وَمَا قَدَرُواْ اللّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُواْ مَا أَنزَلَ اللّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاء بِهِ مُوسَى نُوراً وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيراً وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُواْ أَنتُمْ وَلاَ آبَاؤُكُمْ قُلِ اللّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ وَهَـذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ

يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلاَتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾

بيّن تعالى مكافئة إبراهيم (عس) جزاء محاجَّته لعمّه وقومه ببطلان عبادتهم للنجوم رغم عدم إيمانهم، فهدايتهم لله وحده لعلمه النوايا وحقيقة ما في الصدور فقال:{ وَوَهَبْنَا لَهُ} أي لإبراهيم (عس){ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلاًّ} منهما{ هَدَيْنَا} لديننا { وَنُوحاً هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ} أي من ذرية نوح (عس){ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ} أي وبذلك الجزاء الحسن{ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ} من عبادنا المؤمنين الصالحين في الدنيا قبل الآخرة إلى قيام الساعة لقوله تعالى في سورة طه{... فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ}﴿١٢٤﴾ ولقوله تعالى في سورة يونس:{ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ}﴿٦٤﴾.

ثمّ قال تعالى:{ وَزَكَرِيَّا} أي وكافئنا زكريا (عس){ وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ} بسننا التي لا تتخلف عن أحد فـ{ كُلٌّ} منهم{ مِّنَ الصَّالِحِينَ} { وَإِسْمَاعِيلَ} أي وكافئنا إسماعيل (عس){ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطاً وَكُلاًّ فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ} ثمّ بيّن تعالى أنّ مكافئاتهم تعدتهم فقال{ وَمِنْ

آبَائِهِمْ} أي وكافأنا بالجزاء الحسن آبائهم{ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ} واصطفيناهم واخترناهم لديننا{ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ} فـ{ ذَلِكَ هُدَى اللهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ} المؤمنين الصالحين بعدله وحكمته وسابق علمه بحقيقة ما في الصدور{ وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ} وبطل{ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ}.

واصطفاء الأنبياء واختيارهم كان بسابق علمه قبل خلقهم كما اختار رسول الله ﷺ لدينه، لما ورد في مسند الإمام أحمد عن عبد الله ابن مسعود قال: إن الله نظر في قلوب العباد، فوجد قلب محمد ﷺ خير قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه، فابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد، فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيه، يقاتلون على دينه.

ثمّ قال تعالى:{ أُوْلَـئِكَ} أي الرسل والأنبياء{ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ} وفرضنا عليهم{ الْكِتَابَ} تشريفًا وتكليفًا{ وَالْحُكْمَ} أي وآتيناهم الحكم بالعدل بين النّاس { وَالنُّبُوَّةَ} أي وآتيناهم النبوة{ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَـؤُلاء} من قريش وأهل الكتاب والعرب والنّاس{ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا} وبديننا وشرائعنا{ قَوْماً لَّيْسُواْ بِهَا بِكَافِرِينَ} كالمهاجرين والأنصار ومن آمن من بعدهم من النّاس، فـ{ أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ} ليُقِيمُوا الدين في الأرض{ فَبِهُدَاهُمُ} أي فبهدى الأنبياء{ اقْتَدِهْ} أي واجعلهم قدوة لك ولقومك، و{ قُل} وقولوا للناس{ لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ} أي على هدايتكم لدين الله تعالى{ أَجْراً} مقابل

هدايتكم{ إِنْ هُوَ} أي القرآن العزيز{ إِلاَّ ذِكْرَى} وموعظة{ لِلْعَالَمِينَ} لعلهم يهتدون.

ثمّ عتب تعالى على من كفر من أهل الكتاب فقال:{ وَمَا قَدَرُواْ اللّهَ حَقَّ قَدْرِهِ} على عظيم خلقه للسماوات والأرض وما فيهما، وما أرسل تعالى لهم من أنبياء ورُسلٍ وكُتُبٍ وقرآنٍ عزيز{ إِذْ قَالُواْ مَا أَنزَلَ اللّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ} فـ{ قُلْ} لأهل الكتاب{ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاء بِهِ مُوسَى نُوراً وَهُدًى لِّلنَّاسِ} من قبل، فـ{ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا} وتظهرونها{ وَتُخْفُونَ كَثِيراً} مما أَنزل تعالى عليكم{ وَعُلِّمْتُم} يا أهل الكتاب من علم الله تعالى{ مَّا لَمْ تَعْلَمُواْ أَنتُمْ وَلاَ آبَاؤُكُمْ} من قبل، ثمّ{ قُلِ} لهم{ اللّهُ} علَّمكم{ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ} وكذبهم وأمانيهم{ يَلْعَبُونَ} ويستمتعون.

{ وَهَـذَا كِتَابٌ} أي القرآن العزيز{ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ} ميمون فيه الخير الكثير والزيادة والنماء من كل شيء لقوله تعالى في سورة الأعراف:{ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ...}﴿٩٦﴾ و{ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ} من كتاب قبله كالتوراة والإنجيل وغيرهما{ وَلِتُنذِرَ} أي ولأجل أن تنذر مكّة{ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا} من القرى{ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ} من الأمم السالفة{ يُؤْمِنُونَ بِهِ} أي بالقرآن العزيز، فَأَسلموا وآمنوا به{ وَهُمْ عَلَى صَلاَتِهِمْ يُحَافِظُونَ} كما تحافظون.

الملخص: -

بيّن تعالى مكافئة إبراهيم (عس) والأنبياء من قبله ومن بعده، وعاتب أهل الكتاب على كفرهم برسوله ﷺ، وأكَّد تعالى بركة القرآن للناس وتكفل بحفظه.

(٩٣-١٠٣) بيان أعظم الكذب وحال الكذبة عند النزع، ونفي الشركاء وضرب الأمثال لعظيم خلقه وعجز ما يشركون به.

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِباً أَوْ قَالَ أُوْحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلآئِكَةُ بَاسِطُواْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُواْ أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاء ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاء لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾ إِنَّ اللّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَناً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَاناً ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ

يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ وَهُوَ الَّذِىَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِراً نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبّاً مُّتَرَاكِباً وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُواْ إِلِى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِى ذَلِكُمْ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ وَجَعَلُواْ لِلّهِ شُرَكَاء الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُواْ لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ وهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴿١٠٣﴾

بيّن الله تعالى أشنع الظلم فقال:{ وَمَنْ أَظْلَمُ} أي وليس أظلم{ مِمَّنِ افْتَرَى} وتقوّل{ عَلَى اللهِ كَذِباً} وزورًا كمُسيلمة الكذّاب الذي ادعى النبوة وتَسَمّى بالرحمن، فقتله وَحشِّي ورجل من الأنصار جزاءً وفاقًا في عهد أبي بكر الصديق بقيادة خالد بن الوليد كما ورد في التفاسير مختصرًا{ أَوْ قَالَ أُوْحِيَ إِلَيَّ} زورًا{ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ} حقيقةً{ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنَزلَ اللهُ} ونزلت في عبد الله بن سَعد بن أبي سَرح وكان كاتبًا للوحي عند النبي ﷺ، ثمّ قال مرتدًا: إن كان محمدً يُوحى إليه فقد أُوحي إليَّ، وإن كان الله يُنَزِّلهُ فقد أَنزَلتُ مثل ما أنزل الله! كما ورد في تفسير الطبري، وأهدر رسول الله ﷺ دمه يوم فتح مكّة، وهو أخًا لعثمان بن

عفّان من الرضاعة، فقال لعثمان: يا أخي، إني والله اخترتك فاحتَبِسنِي هاهنا، واذهب إلى محمد فكلمه فيَّ، فإن محمدًا إن رآني ضرب الذي فيه عيناي، إن جُرمي أعظم الجُرم، وقد جئت تائبا، فدخل به عثمان على رسول الله ﷺ وطلب أن يَهَبَهُ له ثلاثًا، وهو يقبل رأس الرسول ﷺ، ثم بايعه الرسول ﷺ كما ورد في كتاب المغازي للواقدي مختصرًا، ثمّ استعمله عمر، ثم وَلّاه عثمان مِصر، وفتح إفريقية، ولم يظهر منه بعد إسلامه إلا خيرًا وصلاح ودين كما ورد في كتاب جوامع السيرة لابن حزم، ولولا ذلك لانتقم الله تعالى منه بسننه التي لا تتخلف عن أحد كما انتقم من مسيلمة.

ثمّ شنّع تعالى حالهم عند الموت فقال:{ وَلَوْ تَرَى} حالهم{ إِذِ الظَّالِمُونَ} المفترين على الله{ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ} ونزع الروح{ وَالْمَلآئِكَةُ بَاسِطُواْ أَيْدِيهِمْ} يضربون وجوههم وأدبارهم كقوله تعالى في سورة الأنفال:{ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ...}﴿٥٠﴾ قائلين:{ أَخْرِجُواْ أَنفُسَكُمُ} إلى سخط الله ولعنته كما ورد في تفسير الطبري، فـ{ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ} والخزي{ بِمَا كُنتُمْ} أي جزاء ما كنتم{ تَقُولُونَ عَلَى اللهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ} وتعرضون{ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى} وضلت عنكم آلهتكم{ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ} عُراةً في بطون أمهاتكم{ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ} ومَنَحناكم من زينة الدنيا{ وَرَاء ظُهُورِكُمْ} لا تغني عنكم

شيئًا{ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاء} وشفعاء كقولهم:{... هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ ...}﴿١٨﴾ في سورة يونس:{ لَقَد تَّقَطَّعَ} الوصال{ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ} وتدعون.

ثمّ حاجّ تعالى المشركين فقال:{ إِنَّ اللهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى} لينبت الزرع، و{ يُخْرِجُ} النبات{ الْحَيَّ مِنَ} الأرض{ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ} كالشعر والظُفر، والخلايا الميتة{ مِنَ الْحَيِّ} فكيف طابت أنفسكم عبادة ما لا يُنبت شيئًا، ولا يخرج الحي من الميت، والميت من الحي؟ فـ{ ذَلِكُمُ} هو{ اللهُ} المستحق للعبادة{ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ} وتُكذّبون، وهو تعالى{ فَالِقُ الإِصْبَاحِ} ليكون نهارًا، وآلهتكم عاجزةٌ عنه{ وَجَعَلَ} لكم{ اللَّيْلَ سَكَناً} ومستراحًا{ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَاناً} دقيقًا لتعلموا عدد السنين والحساب، فـ{ ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ} الغالب في كل أسمائه وصفاته{ الْعَلِيمِ} بكل شيء، فكيف تعبدون آلهة صمٌ بكمٌ عُمي لا تخلق لا ليلًا ولا نهارًا{ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ} وعبدتم آلهةً لا تَهدِيكم لشيء{ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ} والبراهين على بطلان دعواهم و{ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} عظيم خلقه ونفعه{ وَهُوَ الَّذِيَ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ} لكم في الأرض{ وَمُسْتَوْدَعٌ} لأجسادكم كقوله تعالى في سورة البقرة:{ وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ}﴿٣٦﴾ { قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ} والأدلة{ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ} ويفهمون.

ثمّ قال تعالى:{ وَهُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ} فكيف تعبدون ما لا يمطركم ماءً ولا يُنبت زرعًا{ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ} أي من الماء{ خَضِراً} أي يَخضُور النبتات، ومُصنِّع الحبوب والفواكه{ نُّخْرِجُ مِنْهُ} أي من الخَضِر{ حَبّاً مُّتَرَاكِباً} منتظمًا{ وَمِنَ النَّخْلِ} يُخرِج{ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ} وعُذوق الرُّطب{ دَانِيَةٌ} متدلية{ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ} تستمتعونها{ مُشْتَبِهاً} طعمًا وشكلًا{ وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ} فكيف رضيتم عبادة آلهةٍ عاجزين لا ينبتون ما تأكلون وتشتهون{ انظُرُواْ إِلى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ} من زهرته{ وَيَنْعِهِ} ونُضجِه وطيب مذاقه{ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} يوقنون، ثمّ استنكر عليهم فقال:{ وَجَعَلُواْ لِلّهِ شُرَكَاء الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ} سبحانه{ وَخَرَقُواْ لَهُ} كذبًا وزُورًا{ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ} فـ{ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى} المتنزه{ عَمَّا يَصِفُونَ} ويكذبون.

وهو تعالى{ بَدِيعُ} خَلقِ{ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ} لا شبيه لهما ولا مثيل، فـ{ أَنَّى} وكيف{ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ} كما تزعمون{ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ} زوجةٌ{ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ} في السماوات والأرض{ وهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} فكيف رضيتم عبادة آلةً جاهلة؟ فـ{ ذَلِكُمُ اللّهُ رَبُّكُمْ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ} وأخلصوا عبادته{ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ} وكفيل{ لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ} استحالةً{ وَهُوَ يُدْرِكُ} ويعلم ما تراه{

الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ} بخلقه، ولا لطف لآلهتهم{ الْخَبِيرُ} الذي أعطى كل شيءٍ خَلقَهُ ثمّ هدى، ولا علم ولا خبرة لما تعبدون.

الملخص: -

بيّن تعالى أنّ أعظم الكذب كذبٌ عليه، وبيّن حال الكذبة عند نزع الروح، ونفى الشركاء، وضَرب الأمثال لعظيم خلقه، وعجز ما يشركون.

(١٠٤-١١٣) بيان أنّ القرآن بصائر للناس، والأمر باتباع هديه تعالى، والنهى عن سبّ آلهة الكافرين، وتأكيد أنّه لا تؤمن نفس إلّا بإذنه.

قَدْ جَاءكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَاْ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾ وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾ اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٦﴾ وَلَوْ شَاء اللّهُ مَا أَشْرَكُواْ وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٧﴾ وَلاَ تَسُبُّواْ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ فَيَسُبُّواْ اللّهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾ وَأَقْسَمُواْ بِاللّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِندَ اللّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءتْ لاَ يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ

يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلآئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً مَّا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللّهُ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً وَلَوْ شَاء رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُواْ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾

يقول تعالى:{ قَدْ جَاءكُم} في القرآن العزيز{ بَصَآئِرُ} ورشادٌ واضح بَيِّن{ مِن رَّبِّكُمْ} العليم العظيم{ فَمَنْ أَبْصَرَ} واهتدى{ فَلِنَفْسِهِ} أي فلمصلحة نفسه في الدنيا والآخرة لقوله تعالى في سورة يونس:{ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ}﴿٦٤﴾ { وَمَنْ عَمِيَ} عن هدي الله استكبارًا وإعراضًا{ فَعَلَيْهَا} الخسران في الدنيا والآخرة لقوله تعالى في سورة طه:{ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ}﴿١٢٤﴾ { وَمَا أَنَاْ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ} ولا وكيل لتؤمنوا{ وَكَذَلِكَ} وبهذه الأمثال الواضحات{ نُصَرِّفُ} ونُبيّن{ الآيَاتِ} والأدلة والبراهين{ وَلِيَقُولُواْ} أي ولأجل أن يقول الذين كفروا{ دَرَسْتَ} وتعلمت، رغم علمهم أنّه ﷺ النَّبيّ

الأميّ{ وَلِنُبَيِّنَهُ} ولنُفصل ولنشرح معانيه{ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} ويوقنون ويؤمنون.

ثمّ أمر تعالى رسوله ﷺ والمؤمنين فقال:{ اتَّبِعْ} واستمسك بقوّة لـ{ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ} ولا تفرط في شيء منه، فهو{ مِن رَّبِّكَ} الذي{ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ} سبحانه{ وَأَعْرِضْ} بعزّ عزيز{ عَنِ} هوى ومراد{ الْمُشْرِكِينَ} الضالين{ وَلَوْ شَاء اللّهُ مَا أَشْرَكُواْ} بالله{ وَمَا جَعَلْنَاكَ} وما أرسلناك{ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً} ليؤمنوا ولا يشركوا{ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ} حتى يسلموا.

ثمّ وجه تعالى المؤمنين فقال:{ وَلاَ تَسُبُّواْ} ولا تشتموا{ الَّذِينَ يَدْعُونَ} آلهةً أخرى{ مِن دُونِ اللّهِ} غِيرةً على دينكم{ فَيَسُبُّواْ اللّهَ} ردًا عليكم و{ عَدْواً} واعتداءً على الله{ بِغَيْرِ عِلْمٍ} فلمّا نزلت قال النبي ﷺ لأصحابه: لا تسبوا ربكم، فأمسك المسلمون عن شتم آلهتهم كما ورد في تفسير مقاتل بن سليمان، ثمّ إنّه ﷺ لم يكسر صنمًا، وكان يستقبل القبلة حتى فتح مكّة في العام الثامن من الهجرة، فأزال أصنامهم لمّا دانت مكّة وما حولها له ﷺ، وأخلص البيت لعبادة الله وحدة.

فلا إكراه في الدين لقوله تعالى في سورة البقرة:{ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ ...}٢٥٦ ومن شاء فليؤمن من شاء فليكفر لقوله تعالى في سورة الكهف:{ وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ ...}﴿٢٩﴾ ولكن بالحجة والبراهين، وبالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن لقوله تعالى في سورة النحل:{ ٱدۡعُ إِلَىٰ

سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ...}﴿١٢٥﴾.

فـ{ كَذَلِكَ} أي بإعراضهم واستكبارهم تعنتهم{ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ} كقوله تعالى في سورة آل عمران:{ وَلَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِۚ إِنَّهُمۡ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗاۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجۡعَلَ لَهُمۡ حَظّٗا فِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌ}﴿١٧٦﴾ ولقوله تعالى في سورة الزخرف:{ وَمَن يَعۡشُ عَن ذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ نُقَيِّضۡ لَهُۥ شَيۡطَٰنٗا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٞ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمۡ لَيَصُدُّونَهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُم مُّهۡتَدُونَ}﴿٣٧﴾ { ثُمَّ إِلَى رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ} يوم القيامة{ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ} ويُكذِّبون ويُعرضون{ وَأَقْسَمُواْ بِاللهِ جَهْدَ} وغَلِيظَ{ أَيْمَانِهِمْ} وحَلِفِهم{ لَئِن جَاءتْهُمْ آيَةٌ} وحجّة وبرهان من الله{ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا} فـ{ قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِندَ اللهِ} ينزلها متى شاء وعلى من يشاء{ وَمَا يُشْعِرُكُمْ} وما يدريكم{ أَنَّهَا إِذَا جَاءتْ لاَ يُؤْمِنُونَ} فلا تؤمن نفسٌ إلّا بإذنه تعالى ومشيئته لعلمه مستحقّي الإيمان، وحقيقة ما في الصدور{ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ} عن الهُدى عقوبةً لهم لاستكبارهم وتعنتهم{ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ} لمّا جاءهم الرسول{ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ} ويَضِلُّون.

ثمّ أكّد تعالى ذلك فقال:{ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلآئِكَةَ} فرأوهم رأي عين{ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى} أحياءً من قبورهم{ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ}

ذكرناه في القرآن يوم الحشر{ قُبُلاً} وأمام أعينهم{ مَّا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللّهُ} لعلمه مُستحقّ الإيمان حقيقة ما في الصدور{ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ} عزَّة الله تعالى وغناه عن العالمين{ وَكَذَلِكَ} أي وبسبب تعنتهم واستكبارهم واستعجالهم الكفر{ جَعَلْنَا لِكُلّ نِبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً} وخادعًا وتضليلًا{ وَلَوْ شَاء رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ} وما كفروا وما استكبروا{ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ} ويُكَذِّبُون{ وَلِتَصْغَى} أي ولأجل أن تُنصت{ إِلَيْهِ} أي لزخرف القول والغرور{ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ} أي وليرتضوا الكُفر{ وَلِيَقْتَرِفُواْ} وليكذبوا على الله{ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ} فهو تعالى الغَنِي عن العالمين لقوله تعالى في سورة آل عمران:{... وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ}﴿٩٧﴾.

الملخص: –

أُنزل تعالى القرآن بصائر للناس، وأمر باتباع هديه، ونهى عن سبّ آلهة الكافرين، ولكن بدعوتهم بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن، ولن تؤمن نفس إلّا بإذنه تعالى ومشيئته.

(١١٤-١٢١) الأمر بعدم قبول تشريعًا غير تشريع الله تعالى، والإعراض عن جدل المشركين، وترك ظاهر الإثم وباطنه.

أَفَغَيْرَ اللّهِ أَبْتَغِى حَكَماً وَهُوَ الَّذِى أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلاً وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً لاَّ مُبَدِّلِ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾ فَكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ وَمَا لَكُمْ أَلاَّ تَأْكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلاَّ مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيراً لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾ وَذَرُواْ ظَاهِرَ الإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُواْ يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾ وَلاَ تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾

يقول تعالى لرسوله ﷺ وللمؤمنين قل للمشركين المستكبرين عنادًا وعصيانًا{ أَفَغَيْرَ اللهِ أَبْتَغِي حَكَماً} ومشرعًا وهاديًا ومرشدًا{ وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ} معشر النّاس{ الْكِتَابَ} أي القرآن العزيز{ مُفَصَّلاً} بالأدلة والبراهين على صدقه، وما يُوحي لرسوله ﷺ{ وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ}

من يهود ونصارى{ يَعْلَمُونَ} ويؤمنون ويوقنون{ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ} والعدل والصدق والعدل والقسطاس المستقيم، والدين الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه { فَلاَ تَكُونَنَّ} فيما يوحى إليك{ مِنَ الْمُمْتَرِينَ} المرتابين.

{ وَتَمَّتْ} بوحي القرآن العزيز{ كَلِمَتُ} ووعدُ ونعمةُ{ رَبِّكَ} عليك في قوله تعالى في سورة الفتح:{ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا}۝٣ وكلمته تعالى ووعده{ صِدْقاً وَعَدْلاً} وحقًا وقسطًا و{ لاَّ مُبَدِّلِ لِكَلِمَاتِهِ} ووعوده تعالى وأمره وقضائه وقدره{ وَهُوَ السَّمِيعُ} لكل شيئ، ولما يفترون{ الْعَلِيمُ} بكلِّ شيء وبما تخفية الصدور.

ثمّ أكّد تعالى فقال:{ وَإِن تُطِعْ} وتطيعوا{ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللهِ} وهديه ودينه كقوله تعالى في سورة يوسف:{ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ}۝١٠٣ { إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ} وما تهوى الأنفس{ وَإِنْ هُمْ} قطعًا{ إِلاَّ يَخْرُصُونَ} ويفترون ويكذبون، ثمّ يؤكد تعالى قائلا:{ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِ} ودينه وهديه{ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} المؤمنين الموقنين.

ثم أمر تعالى فقال:{ فَكُلُواْ} مما أُحلّ لكم وطيبًا{ مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ} عند ذبحه وأكله{ إِن كُنتُمْ بِآيَاتِهِ} وحُكمه وشرعه{ مُؤْمِنِينَ}

مصدقين، وسبب نزول الآية كما ورد في تفسير مقاتل بن سليمان مختصرًا أن كُفّار مكة حين سمعوا أن الله حرم الميتة قالوا للمسلمين: ما لكم تأكلون مما ذبحتم بأيديكم، وما ذبح الله فلا تأكلونه؟ فنزلت، أما سبب عدم أكل الميتة والدم المسفوح فلعظم ضررها، فالدم يحمل الخلايا الميتة من الجسم إلى البراز، ويحمل ثاني أكسيد الكربون الذي تتخلص منه الرئتان، والبولينا الذي تتخلص منه الكلى، وما يتخلص منه الكبد من سموم وغير ذلك، فالدم مادة خصبة لنمو الجراثيم والفيروسات والبكتيريا خاصّة بعد الموت كما ذكر مختصرًا في الموسوعة الحرة.

{ وَمَا لَكُمْ أَلاَّ تَأْكُلُواْ} أي وما يمنعكم أن تأكلوا{ مِمَّا} ذُبح و{ ذُكِرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ} حلالًا طيبًا{ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ} في قوله تعالى في سورة المائدة:{ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ ...}﴿٣﴾ ثمّ استثنى تعالى فقال:{ إِلاَّ مَا اضْطُرِرْتُمْ} بشِدة{ إِلَيْهِ} أي إلى أكله في مَهلَكةٍ أو مجاعة، وبمقدار الضرورة{ وَإِنَّ كَثِيراً} من المشركين وغيرهم{ لَّيُضِلُّونَ} الناس{ بِأَهْوَائِهِم} ورغباتهم{ بِغَيْرِ عِلْمٍ} ولا هدى، فأعرضوا عنهم، و{ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ} على شرعه وحُكمه.

ثمّ أمر تعالى فقال:{ وَذَرُواْ} وتركوا{ ظَاهِرَ الإِثْمِ وَبَاطِنَهُ} سِرَّه وعلانيته، فـ{ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الإِثْمَ} سِرًا أو علانيةً{ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُواْ يَقْتَرِفُونَ} في الدنيا والآخرة لقوله تعالى في سورة الجاثية:{ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ}﴿٢١﴾ ثمّ قال تعالى:{ وَلاَ تَأْكُلُواْ مِمَّا} ذُبح وأُحلَّ و{ لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ} كالميتة وما ذبح على النصب وللجن{ وَإِنَّهُ} أي واستحلال ما لم يذكر اسم الله عليه{ لَفِسْقٌ} وخروج على هدي الله تعالى{ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَآئِهِمْ} الكافِرين والمشركين{ لِيُجَادِلُوكُمْ} ويحاجُّوكم فيما شرع الله تعالى لكم{ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ} في شيء، فاستحللتم الحرام أو حرمتم الحلال فـ{ إِنَّكُمْ} إذًا مِثلهم{ لَمُشْرِكُونَ}.

الملخص: –

الأمر بعدم قبول تشريعًا غير تشريع الله تعالى، والإعراض عن جَدَل المشركين وحُجَجِهم، وترك ظاهر الإثم وباطنه.

(١٢٢-١٢٩) تأكيد ألّا سوية بين المؤمن والكافر، وأنّ القرآن صراطه المستقيم، وبيان سننه تعالى في المؤمنين والكافرين.

أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِى بِهِ فِى النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِى الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾

وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُواْ فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلاَّ بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا جَاءتْهُمْ آيَةٌ قَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللّهِ اللّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ اللّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُواْ يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾ فَمَن يُرِدِ اللّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاء كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ وَهَـذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيماً قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ لَهُمْ دَارُ السَّلاَمِ عِندَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ الإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِيَ أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلاَّ مَا شَاء اللّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾ وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضاً بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾

ضرب الله تعالى مثلًا لسننه وجزاءاته في المؤمن والكافر فقال:{ أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً} ليس على بصيرةٍ من هدي الله تعالى{ فَأَحْيَيْنَاهُ} وهديناه لصلاح قلبه وسريرته{ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً} وشرائع لعقيدته وسلوكه وأخلاقه ومعاملاته فهو{ يَمْشِي بِهِ} يُعَلِّمها ويُشِيعُها{ فِي النَّاسِ} ليصلح دنياهم وآخرتهم كرسول الله ﷺ{ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ} من الكفر والشرك وعبادة الأوثان كأبي جهل وهو مُصِرٌ على كفره وشركه و{

لَيْسَ} وما هو{ بِخَارِجٍ مِّنْهَا} جزاء عناده واستكباره فـ{ كَذَٰلِكَ} ولهذه الأسباب{ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ} فجزاءه تسليط الشيطان عليه لقوله تعالى في سورة الزخرف:{ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ}﴿٣٧﴾ { وَكَذَٰلِكَ} وبهذه السنن العادلة{ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ} منهم{ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُواْ فِيهَا} ويكفروا يَظلموا ويَضِلُّوا عن سبيل الله{ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلاَّ بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ} بسوء جزائهم في الدنيا والآخرة لقوله تعالى في سورة الجاثية:{ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ}﴿٢١﴾.

وبمثل ذلك كانت دورة الحياة في الأمم، فأنزل الله تعالى آدم وزوجه إلى الأرض على تمام الإيمان، فلمّا أغوى الشيطان من ذريتهما واستشرى الكفر فيهم، بعث الله فيهم رسولًا ليهديهم، فمن سننه تعالى إلّا يعذِّب قومًا حتى يبعث فيهم رسولًا لقوله في سورة الإسراء:{... وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا}﴿١٥﴾ فانقسم الناس مؤمنًا وكافرًا، وكانت العداوة بينهما كما قال تعالى في سورة طه:{ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًاۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّۖ ...}﴿١٢٤﴾ فأيَّد تعالى المؤمنين وأهلك الكافرين، وتكرر ذلك في الأمم أمّة بعد أمّة وبصور مختلفة إلى بعثته ﷺ.

ثمّ بيّن تعالى نهج وسلوك المستكبرين فقال:{ وَإِذَا جَاءتْهُمْ آيَةٌ} وبرهان ودليل على صدق رسولهم{ قَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى} ويُوحى إلينا{ مِثْلَ مَا أُوتِيَ} وأُحي ل{ رُسُلُ اللهِ} لنصدق ونؤمن بالله، فقل لهم{ اللهُ أَعْلَمُ} بمن يستحق الرسالة وأهلًا لها، وهو أعلم{ حَيْثُ يَجْعَلُ} تعالى{ رِسَالَتَهُ} و{ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُواْ} ومكروا واستكبروا{ صَغَارٌ} وحقارٌ مهانةٌ{ عِندَ اللهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ} في الآخرة{ بِمَا كَانُواْ يَمْكُرُونَ} ويكفرون ويشركون ويستكبرون.

ثمّ جزم تعالى فقال:{ فَمَن يُرِدِ اللهُ أَن يَهْدِيَهُ} بسبب صلاح قلبه وحسن سريرته{ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ} بسبب شركه واستكباره وإعراضه{ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً} لا يقبل هدي الله و{ كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاء} وإلى أعالي الجبال، وهذه حقيقة حيث تقل نسبة الأكسجين عند الصعود إلى أعالي الجبال، و{ كَذَلِكَ} وبمثل هذه السنن{ يَجْعَلُ اللهُ الرِّجْسَ} والإثم والعذاب واللعن{ عَلَى الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ} كما حلّ بالأمم الكافرة.

{ وَهَـذَا} القرآن العزيز{ صِرَاطُ} وطريق وتشريع{ رَبِّكَ مُسْتَقِيماً} ليس فيه ظُلم ولا عِوج ولا ضلال{ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ} والأدلة والبراهين فيه{ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ} ويؤمنون ويوقنون، و{ لَهُمْ دَارُ السَّلاَمِ عِندَ رَبِّهِمْ} يوم القيامة{ وَهُوَ} تعالى{ وَلِيُّهُمْ} في الدنيا ومؤيدهم{ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ} من خير وصلاح{ وَيَوْمَ يِحْشُرُهُمْ جَمِيعاً} مؤمنهم وكافرهم فيقول

تعالى:{ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم} من غواية كثيرا{ مِّنَ الإِنسِ} وأضللتموهم{ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم} وأنصارهم{ مِّنَ الإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ} واغتر{ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ} من غواية وضلال{ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِيَ أَجَّلْتَ لَنَا} فجمعتنا وحشرتنا، فاليوم نؤمن بك وبما أخبرت به رُسلِك{ قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ} وجزائكم ومأواكم{ خَالِدِينَ فِيهَا} أبدًا{ إِلاَّ مَا شَاء اللّهُ} أن يزحزحه تعالى عن جهنم بما كانوا يعملون{ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ} في كل أمره وفيما يقضي ويمضي من سنن{ عَلِيمٌ} بكل شيء وما يُسرون وما يعلنون{ وَكَذَلِكَ} ومن سننه تعالى{ نُوَلِّي} ونناصر ونؤيد{ بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضاً بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ} ويمكرون ويكفرون.

الملخص: -

أكّد تعالى ألّا سوية بين المؤمن والكافر، وأنّ القرآن صراطه المستقيم، وبيّن سننه وجزءاته في المؤمن والكافر.

(١٣٠-١٣٧) اعتراف كفرة الجن والإنس بكفرهم قبل وُلوجهم النّار، وتحذير الناس من الكفر، وتسفيه أحكام وتشريعات الكافرين.

يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاء يَوْمِكُمْ هَـذَا قَالُواْ شَهِدْنَا عَلَى أَنفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُواْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَافِرِينَ ﴿١٣٠﴾ ذَلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ ﴿١٣١﴾ وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ وَمَا رَبُّكَ

بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾ وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ
وَيَسْتَخْلِفْ مِن بَعْدِكُم مَّا يَشَاءُ كَمَا أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ ﴿١٣٣﴾ إِنَّ
مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾ قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُواْ عَلَى مَكَانَتِكُمْ
إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ
﴿١٣٥﴾ وَجَعَلُواْ لِلّهِ مِمِّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالأَنْعَامِ نَصِيباً فَقَالُواْ هَـذَا لِلّهِ بِزَعْمِهِمْ
وَهَـذَا لِشُرَكَآئِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلاَ يَصِلُ إِلَى اللّهِ وَمَا كَانَ لِلّهِ فَهُوَ
يَصِلُ إِلَى شُرَكَآئِهِمْ سَاء مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾ وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ
قَتْلَ أَوْلاَدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُواْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاء اللّهُ مَا
فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾

يُقرِّرُ الله تعالى كفرة الجن والإنس بكفرهم قبل أن يَلِجوا جهنَّم يوم القيامة على رؤوس الأشهاد فيقول:{ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ} الجاحدين المستكبرين{ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ} ومن جنسكم{ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي} وسنني التي أمضيتها فيمن قبلكم كقوله تعالى في سورة الفجر:{ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿٧﴾ ٱلَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ}﴿١٣﴾ ويدعونكم للإيمان قبل نزول عذابكم{ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاء يَوْمِكُمْ هَـذَا} يوم الحساب{ قَالُواْ} بلى{ شَهِدْنَا عَلَى أَنفُسِنَا} بما كان{ وَ} لكن{

غَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا} وغَلَبَت عليهم شِقْوَتِهم{ وَشَهِدُواْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَافِرِينَ} معرضين مستكبرين{ ذَلِكَ} أي وسبب إرسال الرسل{ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ} منه تعالى{ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ} لم يأتيهم نذير، كقوله تعالى في سورة الإسراء:{... وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا}﴿١٥﴾ { وَلِكُلٍّ} من الجن والإنس{ دَرَجَاتٌ} ودركات في النّار{ مِّمَّا عَمِلُواْ} أي جزاء ما عملوا{ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ}.

وفي تلك الآيات دلالة على إهلاك الأمم الكافرة من الجن والإنس، وقد انقطعت النبوة عن الجِن بخلق آدم (ع‌س) الذي جعله تعالى خليفة من بعدهم، والذي حسده الشيطان وأخذ العهد على نفسه بإضلالهم، ويدل على انقطاع النبوّة عن الجن قوله تعالى على لسان الجِن في سورة الأحقاف:{ قَالُواْ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ}﴿٣١﴾.

ثمّ قال تعالى:{ وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ} عن عذاب الأمم لو آمنوا كقوله تعالى في سورة النساء:{ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا}﴿١٤٧﴾ وهو تعالى{ ذُو الرَّحْمَةِ} الواسعة التي وسعت كل خلقه، والأجنة في بطون أمهاتها، ثمّ حذَّر تعالى الناس فقال:{ إِن يَشَأْ} تعالى{ يُذْهِبْكُمْ} ويفنيكم كما أهلك من قبلكم، ولا تضروه شيئًا{

وَيَسْتَخْلِفْ مِن بَعْدِكُم مَّا يَشَاءُ} من خَلْقٍ وأُمم{ كَمَا أَنشَأَكُم} وخلقكم{ مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ}.

ثمّ أكّد تعالى فقال:{ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ} من موت وبعث وحساب وجنّة ونار{ لآتٍ} لا محالة{ وَمَا أَنتُم} معشر النّاس{ بِمُعْجِزِينَ} الله تعالى في شيء، ثمّ أمر تعالى رسوله ﷺ تحذير الكافرين فقال:{ قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُواْ عَلَى مَكَانَتِكُمْ} أي على ما تظنون أنّه يمكنكم في الأرض{ إِنِّي عَامِلٌ} بهدي ربّي ومرضاته ليمكنني فيها{ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدِّارِ} السيئة في الدنيا والآخرة، وكونوا على يقين{ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ} في الدنيا والآخرة لقوله تعالى في سورة الأنعام:{ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ}﴿٤٧﴾ ولقوله تعالى في سورة إبراهيم:{ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ}﴿٤٢﴾.

ثمّ سفَّه تعالى تشريع المُشركين فقال:{ وَجَعَلُواْ} أي الكفرة المشركون{ لِلّهِ} شيئًا وقِسمًا{ مِمّا ذَرَأَ} تعالى وخَلَقَ{ مِنَ} ثمار{ الْحَرْثِ} والزروع{ وَالأَنْعَامِ نَصِيباً} يصرف للفقراء والمساكين{ فَقَالُواْ هَـذَا لِلّهِ بِزَعْمِهِمْ} وحُكمهم{ وَهَـذَا} النصيب الآخر{ لِشُرَكَآئِنَا} يصرف للقائمين على المعابد وصيانتها كالسدنة والخدم{ فَمَا كَانَ} من ثمار وأنعام{ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلاَ} يجوز أن{ يَصِلُ} ويُهَب{ إِلَى اللّهِ} بل يُعاد لشركائهم{ وَمَا كَانَ لِلّهِ} من زرع وأنعام{ فَهُوَ يَصِلُ} ويُوهب{ إِلَى شُرَكَآئِهِمْ} تغليبًا

لمصالحهم، فذمّ تعالى حُكمهم فقال:{ سَاء} وخبث{ مَا يَحْكُمُونَ} ويشرعون.

ففي تشريعهم ظلمٌ للفقير والمسكين إذ ينقصون حقوقهم، أمّا الإسلام ففرض الزكاة للفقراء والمساكين ذكورًا وإناثًا، وندب لهم الصدقة، والأضاحي، وجعل كثير من أحكام الكفّارات لصالحهم ورعايتهم، كما فرض لهم خُمُس الفيء والغنيمة، والذي أدى إلى سيادة الأمن في المجتمعات الإسلامية كما هو ملاحظ نسبةً إلى عِظم الجريمة في الدول غير المسلمة.

ثمّ قال تعالى:{ وَكَذَلِكَ} وبما شرَّعه الكافرون المشركون لأنفسهم من باطل{ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلاَدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ} فوأدوا بناتهم خشية الفقر والعار{ لِيُرْدُوهُمْ} ويلكوهم بالدفن في التراب{ وَلِيَلْبِسُواْ} وليخلطوا{ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ} أي ليَخسِروا نعمة الذرية التي وهبها تعالى فيقتلونها{ وَلَوْ شَاء اللّهُ مَا فَعَلُوهُ} ولكن ليكون حُجَّةً عليهم يوم القيام{ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ} ويشرعون.

الملخص: –

يعترف كفرة الجن والإنس بكفرهم قبل وُلوجهم النّار، وحُذِّر النّاس من الكفر، وسَفه تعالى أحكام وتشريعات الكافرين.

(١٣٨-١٤٥) تسفيه تشريعات المشركين ودحضها، والإشارة إلى بعض نعمه تعالى من زرع وأنعام، وما حرّم تعالى منها وأباح للضرورة.

وَقَالُواْ هَـذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لاَّ يَطْعَمُهَا إِلاَّ مَن نَّشَاء بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لاَّ يَذْكُرُونَ اسْمَ اللّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاء عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾ وَقَالُواْ مَا فِي بُطُونِ هَـذِهِ الأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاء سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حِكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُواْ أَوْلاَدَهُمْ سَفَهاً بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ اللّهُ افْتِرَاء عَلَى اللّهِ قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾ وَهُوَ الَّذِى أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفاً أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُواْ حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ وَمِنَ الأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشاً كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٤٢﴾ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الأُنثَيَيْنِ نَبِّؤُونِي بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٤٣﴾ وَمِنَ الإِبْلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الأُنثَيَيْنِ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاء إِذْ وَصَّاكُمُ اللّهُ بِهَـذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِباً لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِى

الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٤﴾ قُل لاَّ أَجِدُ فِي مَا أُوْحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلاَّ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَماً مَّسْفُوحاً أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقاً أُهِلَّ لِغَيْرِ اللّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾

يواصل تعالى استنكاره تشريعات المشركين فيقول:{ وَقَالُواْ هَـذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ} وثمار زروعٍ{ حِجْرٌ} أي حرام{ لاَّ يَطْعَمُهَا} ولا تَحِل{ إِلاَّ } لـ{مَن نّشَاء بِزَعْمِهِمْ} وكذبهم، فأحلوا ألبانها ولحومها للرجال دون النساء كما ورد في تفسير مقاتل بن سليمان{ وَأَنْعَامٌ} أخرى{ حُرِّمَتْ} ركوب{ ظُهُورُهَا} كالحام الذي حمى ظهره بعد أن أنجب عشرة من ولد ولده فيكون للآلهة، لا يحمل عليه ولا يركب ولا يمنع من مرعى ولا ماء ولا حِمى ولا يُنحر كما ورد في تفسير مقاتل بن سليمان{ وَأَنْعَامٌ} يذبحونها للأصنام كما ورد في تفسير السمعاني{ لاَّ يَذْكُرُونَ اسْمَ اللّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاء} وكذبًا{ عَلَيْهِ} تعالى{ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ} في الدنيا ويوم القيامة{ وَقَالُواْ مَا فِي بُطُونِ هَـذِهِ الأَنْعَامِ} من أجِنّة حيَّةٍ وألبان{ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا} كما ورد في تفسير الطبري{ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاء} للذكور وللإناث{ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ} وجزاء تشريعهم{ إِنَّهُ حِكِيمٌ} في كل شأنه{ عَلِيمٌ} لا تخفى عليه خافية.

ثم أكّد تعالى فقال:{ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُواْ أَوْلاَدَهُمْ} فوأدوهنّ خشية الفقر والعار كما ورد في تفسير السمعاني{ سَفَهاً} وحماقةً{ بِغَيْرِ عِلْمٍ} فهُنَّ لم يرتكبن ذنبًا{ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ اللّهُ} من نعمة الولد{ افْتِرَاء}

وكذبًا{ عَلَى اللهِ} فـ{ قَدْ ضَلُّواْ} وجهلوا{ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ} بسننه تعالى لكذبهم.

ثمّ قال تعالى:{ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ} وأنبت لكم{ جَنَّاتٍ} وبساتين{ مَّعْرُوشَاتٍ} أي النباتات المتسلقة كالعنب{ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ} قائمة على سيقانها{ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفاً أُكُلُهُ} وأذواقه{ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهاً} في اللون أو الطعم أو الشكل أو الفائدة{ وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ} فـ{ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ} ونضج{ وَآتُواْ حَقَّهُ} وزكاته وتصدقوا منه{ يَوْمَ} أي بعد{ حَصَادِهِ} وبيعه{ وَلاَ تُسْرِفُواْ} فيه بذخًا وفخرًا، ولا تتخذوه سكرًا{ إِنَّهُ} تعالى{ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ}.

ثمّ قال تعالى:{ وَمِنَ الأَنْعَامِ} خلق لكم{ حَمُولَةً} أي لتحملكم وتحمل أثقالكم{ وَفَرْشاً} تفترشون جلودها مَجالسًا، وبيوتًا تستخفونها يوم ظعنكم وإقامتكم{ كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ} من ثمارها ولُحومها{ وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ} فتحرموا بغير علم{ إِنَّهُ} أي الشيطان{ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ} أعلن عداوته من آدم (ع‌س) إلى يوم القيامة.

ثمّ قال تعالى{ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ} أي وأنشأ تعالى لكم ثمانية أزواج{ مِّنَ الضَّأْنِ} الخراف{ اثْنَيْنِ} ذكرًا وأنثى{ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ} فـ{ قُلْ} للمشركين{ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ} الله عليكم{ أَمِ الأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الأُنثَيَيْنِ} من ولد{ نَبِّؤُونِي بِعِلْمٍ} ويقين{ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ} في حكمكم{ وَمِنَ الإِبْلِ} أي وأنشأ تعالى لكم من الإبل{ اثْنَيْنِ} ذكر وأنثى{

وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ} فـ{ قُلْ} للمشركين{ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الأُنثَيَيْنِ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاء} عند الله تعالى{ إِذْ وَصَّاكُمُ اللّهُ بِهَـذَا} التشريع الباطل{ فَمَنْ أَظْلَمُ} وأطغى{ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِباً لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ} فـ{ إِنَّ اللّهَ} تعالى من سننه{ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} الطّاغين.

ثمّ بيّن تعالى فقال:{ قُل} لهم{ لاَّ أَجِدُ فِي} دين الله و{ مَا أُوْحِيَ إِلَيَّ} من كتاب{ مُحَرَّماً} من ذلك شيئًا{ عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ} ذكرًا أو أنثى{ إِلاَّ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَماً مَّسْفُوحاً} فالدم يحمل الخلايا الميتة من الجسم إلى البراز، وثاني أكسيد الكربون الذي تتخلص منه الرئتان، والبولينا الذي تتخلص منه الكلى، والسموم التي يتخلص منه الكبد، فالدم مزرعة خصبة للجراثيم والفيروسات والبكتيريا كما ذكر مختصرًا في الموسوعة الحرة{ أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ} كونه يأكل القذر، لما ورد في سنن الإمام الترمذي عن ابن عمر ψ قال:" نهى رسول الله ﷺ عن أكل الجلالة والبانها"، كونها تأكل القذر كالخنزير، والذي ينقل الديدان، كالخطافية والدبوسية، ودودة الخنزير الشريطية كما ذكر في الموسوعة الحرة{ فَإِنَّهُ رِجْسٌ} أي قذر وخطيئة وذنب{ أَوْ فِسْقاً أُهِلَّ} وذُبح{ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ} للجِن والنُصب والأوثان{ فَمَنِ اضْطُرَّ } لأكل شيئًا منه في مَهلَكةٍ أو مجاعة{ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ} على شرع الله تعالى{ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}.

الملخص: -

واصل تعالى استنكاره تشريعات المشركين، وبيّن تعالى بعض نِعمه من الزروع والأنعام، وما حرّم تعالى منها، وأباحها للضرورة.

(١٤٦-١٥٠) بيان ما حرّمه تعالى على الذين هادوا من بني إسرائيل، وإقامة الحجّة على المشركين، والأمر بالإعراض عمّا يزعمون.

وَعَلَى الَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلاَّ مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿١٤٦﴾ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلاَ يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَاء اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلاَ آبَاؤُنَا وَلاَ حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم حَتَّى ذَاقُواْ بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاء لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَـذَا فَإِن شَهِدُواْ فَلاَ تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاء الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾

من اليهود كذبة لا يتورعون عن الكذِب على الله تعالى، فوضَّح الله تعالى للمسلمين ما حرمّه عليهم لعلهم لا يكذبون فقال:{ وَعَلَى

الَّذِينَ هَادُواْ} أي اليهود، وهم الطائفة التي آمنت من بني إسرائيل بموسى (ع‌س){ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ} أي الإبل والنّعام والوزر والبط، وكل شيء له خُف أو ظِفر من الدواب والطير كما ورد في تفسير مقاتل بن سليمان، وأباح لهم ما انفرجت أصابعه كالدجاج والعصافير{ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا} عمومًا، ثم استثنى تعالى فقال:{ إِلاَّ مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا} من شحم{ أَوِ الْحَوَايَا} فهو حلال، والحوايا هي حوايا البطن، وهو الشحم المبسوط على الأمعاء والمصارين كما ورد في قاموس لسان العرب{ أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ} قيل شحم الإلية، وقيل المخ كما ورد في غرائب التفسير وعجائب التأويل، وسبب{ ذَلِكَ} التحريم{ جَزَيْنَاهُم بِبَغْيِهِمْ} على دين الله تعالى وشرعه، وبكفرهم بأنبيائهم وقتلهم دون حق{ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ} ومن أصدق من الله قيلًا؟ { فَإِن كَذَّبُوكَ} فيما أوحي إليك من ربك{ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ} لمن آمن برسوله ﷺ وعزّره ونصره واتبع النور الذي أنزل معه، لقوله تعالى في سورة الأعراف:{... فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ}﴿١٥٧﴾ ثمّ استغفر لما كان منه، وهجر الكذب على الله بتوبةٍ نصوحًا لا ينكثها، ثمّ حذّرهم فقال:{ وَلاَ يُرَدُّ بَأْسُهُ} وعقوبته وعذابه في الدنيا والآخرة{ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ} الفاسقين الكافرين لقوله تعالى في سورة آل عمران:{ فَأَمَّا

الَّذِينَ كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ}٥٦.

ثمّ فنَّد تعالى افتراء المشركين فقال:{ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَاء اللّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلاَ آبَاؤُنَا وَلاَ حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ} وصدقوا وكذبوا، فصدقوا بأنه لا يكون شيئًا في الكون إلّا بإذنه تعالى ومشيئته، وكذبوا، فإنّ سننه تعالى لا تتخلف عن المصرّين على الكفر المعرضين المستكبرين على دينه تعالى، فأولئك يزيد الله تعالى ما في قلوبهم من كُفرٍ واستكبار ليموتوا على الكفر لقوله تعالى في سورة التوبة:{ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ}﴿١٢٥﴾ و{ كَذَلِكَ} أي وبمثل ما كَذَب المشركون على الله تعالى{ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم حَتَّى ذَاقُواْ بَأْسَنَا} ونزل بهم عذاب الدنيا قبل الآخرة كقوله تعالى في سورة الأعراف:{ وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ}﴿٤﴾ ف{ قُلْ} لهم{ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ} حق على ما تشرعون وتزعمون من باطل{ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا} لنصدقكم، ثمّ أكّد تعالى فقال:{ إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ} الذي وجدوا عليه آبائهم{ وَإِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَخْرُصُونَ} وتفترون وتكذبون.

ثمّ أمر تعالى رسوله ﷺ فقال:{ قُلْ فَلِلّهِ} وحده{ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ} والدليل والبرهان القاطع الدامغ{ فَلَوْ شَاء لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ} ولكن اقتضت سننه تعالى من آدم (ع‌س) إلى يوم القيامة أنه من اتبع هداه فلا يضل

ولا يشقى، ومن أعرض فإنّ له معيشة شديدة قاسية، ويُحشر يوم القيامة أعمى لقوله تعالى في سورة طه:{ قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ١٢٣ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ}١٢٤ والله لا يهدي القوم الكافرين عنادًا وعصيانًا لقوله تعالى في سورة النحل:{ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهۡدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ}١٠٤ في الدنيا والآخرة لقوله تعالى في سورة الأنعام:{ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمۡ ذُو رَحۡمَةٖ وَٰسِعَةٖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُهُۥ عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ}١٤٧.

ثمّ قال تعالى:{ قُلْ} للمشركين{ هَلُمَّ} وتعالوا وهاتوا{ شُهَدَاءكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللّهَ حَرَّمَ هَـذَا} الذي وحرمتموه بزعمكم{ فَإِن شَهِدُواْ} وحلفوا على شركهم وشرعهم أنّه من عند الله{ فَلاَ تَشْهَدْ مَعَهُمْ} وكذّبهم{ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاء} وحكم وتشريع{ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ} المُساوون الله تعالى بما يعبدون من دون الله.

الملخص: –

بيّن تعالى ما حرّمه على اليهود، وأقام الحجّة على المشركين وادعاءاتهم الكاذبة، وأمر بالإعراض عمّا يزعمون.

(١٥١-١٥٤) بيان ما حرّم تعالى على النّاس، والأمر باتباع هديه، وأن في التوراة هدىً ورحمة.

قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُم مِّنْ إِمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلاَ تَقْرَبُواْ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لاَ نُكَلِّفُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللّهِ أَوْفُواْ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَاماً عَلَى الَّذِيَ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَاء رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾

يأمر الله تعالى رسوله ﷺ والمؤمنين من بعده أن يبيّنُوا للمشركين والنّاس ما حرمّه الله تعالى عليهم فقال:{ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ} وأُبيّنُ{ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ} من أمور، أولّا:{ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ} تعالى ووحدانيته{ شَيْئاً} البتة، كونه كذبًا وإفكًا وإثمًا عظيمًا لا يُغتفر لقوله تعالى في سورة النساء:{ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا}﴿٤٨﴾ وكونه ضلالًا بعيدًا عن الحقّ

لقوله تعالى في سورة النساء:{ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا}﴿١١٦﴾.

ثانيًا:{ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً} في الصِّغَر والكِبَر، لعظم فضلهما، ولقد سما الإسلام بالعلاقة بالوالدين دعمًا للعلاقات الأسرية لقوله تعالى في سورة الإسراء:{ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا ﴿٢٣﴾ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا}﴿٢٤﴾ كما وسما الإسلام بصحبة الأم لما ورد في صحيح الأمام البخاري عن أبي هريرة (رلع) قال: جاء رجل إلى رسول ﷺ فقال: يا رسول الله، من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: ثم أمك، قال: ثم من؟ قال: ثم أمك، قال: ثم من؟ قال: ثم أبوك"، ولا سعادة لأحدٍ من البشر حتى يلتزم بذلك.

ثالثًا:{ وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُم} الذين من رزق ربّكم{ مِّنْ إمْلاَقٍ} أي خشية أن تفتقروا، فـ{ نَّحْنُ} سبحانه{ نَرْزُقُكُمْ} من فضلنا{ وَإِيَّاهُمْ} لا ننساهم، بل حثَّ الإسلام على حسن اختيار الأم وتسمية الأولاد، رابعًا:{ وَلاَ تَقْرَبُواْ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ} فكان أهل الجاهلية يحرمون ما ظهر من الزنا، ويستحلون ما خفي كما ورد في تفسير الطبري فحرّمه تعالى، لتَطهير الأنساب والمجتمعات من الأمراض، وما

يترتب عليها من اهدار ميزانيات الدول لعلاج ما يترتب عليه من أمراض، خامسًا:{ وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ} مؤمنة كانت أو كافرة{ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ} والعدل، إذا جرمت شرعًا بقتل أو غيره، فـ{ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ} وأرشدكم إليه{ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} وتفقهون، ولتتقوا عذابه تعالى في الدنيا والآخرة.

سادسًا:{ وَلاَ تَقْرَبُواْ} معشر الأولياء أكل{ مَالَ الْيَتِيمِ} بغير حق{ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} إن كان الولي فقيرًا، فيأخذ منه بقدر جهده وما يبذله لليتيم لقوله تعالى في سورة النساء:{ وَٱبْتَلُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْۖ وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُواْۚ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُواْ عَلَيْهِمْۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا}٦ { حَتَّى} يَكبُرَ و{ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ} وقوته لكسب رزقه، فحفظوا حقوقهم وأكرموهم حتى لا يخشون ظلمًا.

سابعًا:{ وَأَوْفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ} حِفاظًا للحقوق الآخرين{ لاَ نُكَلِّفُ نَفْساً} بشيءٍ{ إِلاَّ وُسْعَهَا} وقدرتها، ثامنًا:{ وَإِذَا قُلْتُمْ} وحكمتم بين النّاس{ فَاعْدِلُواْ} وأقسطوا{ وَلَوْ كَانَ} الحق على{ ذَا قُرْبَى} ولِذِي رَحِم.

تاسعًا:{ وَبِعَهْدِ اللّهِ} وميثاقه{أَوْفُواْ} إذ قُلتم سمعنا وأطعنا، لقوله تعالى في سورة النحل:{ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ

بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا وَقَدۡ جَعَلۡتُمُ ٱللَّهَ عَلَيۡكُمۡ كَفِيلًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ}﴿٩١﴾ فـ{ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} وتتقون.

عاشرًا:{ وَأَنَّ هَـذَا} القرآن العزيز وسنّة رسوله ﷺ{ صِرَاطِي} ومنهجي{ مُسْتَقِيماً} ولمرضاتي{ فَاتَّبِعُوهُ} واستمسكوا به بقوّة لا تفريط في شيءٍ منه، والحادي عشر:{ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ} والديانات والشبهات والآراء مهما بلغت الحضارات{ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ} وتُبعِدكم{ عَن سَبِيلِهِ} وشرعه وهديه، فـ{ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ} فلتزموا{ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} غضبه فتخلصون، وقال تعالى لعلّكم تتقون لتفاوت درجات إيمان المؤمنين لقوله تعالى في سورة فاطر:{ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ}﴿٣٢﴾.

{ ثُمَّ} أي واعلموا أنّا{ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ} أي التورة من قبل{ تَمَاماً} كاملًا شملًا{ عَلَى الَّذِيَ أَحْسَنَ} أي موسى (ع‌س) لالتزامه وعدله{ وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ} يحتاج إليه قومه لتدبير حياتهم من عقيدة وعبادات وأخلاق ومعاملات{ وَهُدًى وَرَحْمَةً} لهم{ لَّعَلَّهُم بِلِقَاء رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ} فيلتزمون.

الملخص: –

بيّن تعالى ما حرّم على النّاس، وأمر باتباع هديه، وبيّن أن التوراة كانت هدىً ورحمة لبني إسرائيل.

(١٥٥- ١٥٨) تأكيد أن القرآن هدى ورحمة، والتحذير من الكفر ومغبة الإعراض عن دين الله تعالى.

وَهَـٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَن تَقُولُواْ إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ ﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُواْ لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِآيَاتِ اللّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾ فهَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيهُمُ الْمَلآئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لاَ يَنفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً قُلِ انتَظِرُواْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾

يقول تعالى:{ وَهَـٰذَا كِتَابٌ} أي القرآن العزيز المهيمن على شرائع الأديان والنّاسخ لها{ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ} أي فيه النماء والزيادة والرِّفعة من كل شيء لمن آمن به واتبع هديه لقوله تعالى في سورة طه:{... فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ}﴿١٢٣﴾ وقِراءةُ كل حرف منه بعشر حسنات لما ورد في سنن الإمام الترمذي عبد الله بن مسعود (رلع) يقول: قال رسول الله ﷺ:" من قرأ حرفًا من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول{ ألم} حرف، ولكن ألفٌ حرف، ولامٌ حرف، وميمٌ حرف".

ومن بركته أنّ الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، والسيئة بمثلها لما ورد في صحيح الأمام مسلم في الحديث القدسي عن أبي هريرة (رلع) عن رسول الله ﷺ قال: قال الله عز وجل:" إذا هم عبدي بحسنة ولم يعملها كتبتها له حسنة، فإن عَمِلها كتبتها عشرُ حسنات إلى سبعمائة ضعف، وإذا هم بسيئة ولم يعملها لم أكتبها عليه، فإن عملها كتبتها سيئة واحدة".

ثمّ أمر تعالى فقال:{ فَاتَّبِعُوهُ} وتمسَّكوا بشرعه بقوة، دون تفريط في أي حكمٍ من أحكامه{ وَاتَّقُواْ} مخالفته{ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} وقال تعالى لعلكم ترحمون لتفاوت درجات إيمان الأمّة التي اصطفاها تعالى للناس لقوله في سورة فاطر:{ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَاۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ}﴿٣٢﴾.

والغاية من إنزال القرآن العزيز{ أَن تَقُولُواْ} أي حتى لا تقولوا، ولا يكون لكم حجة يوم القيامة فتقولوا:{ إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا} أي اليهود والنصارى{ وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ} وعلمهم وشرعهم{ لَغَافِلِينَ} لم يأتنا منهم نذير{ أَوْ تَقُولُواْ} أي وحتى لا تقولوا:{ لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ} من الله{ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ} أي من اليهود والنصارى، وأشد استقامة وأحسن عملًا كما ورد في تفسير الطبري{ فَقَدْ جَاءكُم بَيِّنَةٌ} أي قرآن واضح مُبين، قاطع للشبهات كما وردت المعاني في تفسير معاني

القرآن وإعرابه، وهو{ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى} في العقيدة والعبادات والأخلاق والمعاملات{ وَرَحْمَةٌ} للنّاس والخَلقِ أجمعين.

ثمّ حذّر تعالى فقال:{ فَمَنْ أَظْلَمُ} أي وليس أحدٌ أظلم{ مِمَّن كَذَّبَ بِآيَاتِ اللهِ} وبراهينه وأدلّته ومعجزاته{ وَصَدَفَ} أي وانقطع ونأى وتولّى{ عَنْهَا} وما جاء فيها من أحكام وتشريع فـ{ سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ} وينقطعون ويهجرون ويبتعدون{ عَنْ آيَاتِنَا} وشرعنا{ سُوءَ الْعَذَابِ} في الدنيا والآخرة لقوله تعالى في سورة طه:{ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ}﴿١٢٤﴾ وسبب تلك العقوبة البائسة في الدنيا والآخرة{ بِمَا} أي بسبب ما{ كَانُواْ يَصْدِفُونَ} ويكفرون ويستكبرون ويعرضون.

ثمّ حذّر تعالى من الكفر عمومًا، وعدم فعل الخير رغم الإيمان بما أنزل تعالى فقال:{ فهَلْ يَنظُرُونَ} أي فهل ينتظرون صدق ما أخبرهم به تعالى من عقوبة{ إِلاَّ أَن تَأْتِيهُمُ الْمَلآئِكَةُ} بالموت في الأجل المسمى لقوله تعالى في سورة الأعراف:{... حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ}﴿٦١﴾ { أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ} بهم يوم القيامة للحساب{ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ} بطلوع الشمس من مغربها، أو يهلكهم تعالى كما أهلك الأمم التي كانت قبلهم، فـ{ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ} من موت أو يوم القيامة أو غيره{ لاَ يَنفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا} كقوله تعالى في سورة السجدة:{ قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ

يُنظَرُونَ}﴿٢٩﴾ بسبب أنّ تلك النفس{ لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ} الموت أو نزول العذاب{ أَوْ كَسَبَتْ} وعَمِلت{ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً} ينقذها من العذاب كما وردت المعاني في تفسير الطبري، فـ{ قُلِ انتَظِرُواْ} ما يفعل الله تعالى بكم{ إِنَّا مُنتَظِرُونَ} جزاء إعراضكم.

الملخص: –

أكّد تعالى أن القرآن هدى ورحمة، وحذر من مغبة الكفر والإعراض عن دينه.

(١٥٩–١٦٥) تبرئة الرسول ﷺ من المتفرقين شيعًا وأحزابًا، وإنذارهم بعذاب عظيم، وبيان بعض ثوابته تعالى.

إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعاً لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاء بِالسَّيِّئَةِ فَلاَ يُجْزَى إِلاَّ مِثْلَهَا وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِيناً قِيَماً مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ اللّهِ أَبْغِي رَبّاً وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلاَ تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلاَّ عَلَيْهَا وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ وَهُوَ الَّذِى

جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٦٥﴾

حذَّر الله تعالى المؤمنين من تبرئة رسوله ﷺ منهم عند تفرقهم شيعًا وأحزابًا فقال:{ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعاً} وطوائف وأحزابًا{ لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ} من منهج أو سُلوك، فـ{ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ} في الدنيا قبل الآخرة{ إِلَى اللهِ ثُمَّ} يوم القيامة{ يُنَبِّئُهُم} ويجازيهم{ بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ} وقد أمرهم تعالى بالاعتصام بدينه وعدم التفرق في قوله تعالى في سورة آل عمران:{ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ...}﴿١٠٣﴾ وحذّرهم من عذاب عظيم إن اختلفوا وتفرقُّوا في قوله تعالى في سورة آل عمران:{ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ}١٠٥ والعذاب العظيم من اللعن، وبيّن تعالى سبب ذلك في قوله تعالى في سورة الأنفال:{ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ}﴿٤٦﴾ فسننه تعالى وجزاءاته في الدنيا قبل الآخرة لا تتخلف عن أحد لقوله تعالى في سورة طه:{ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ}﴿١٢٤﴾.

ثمّ بيّن تعالى أمرًا آخر فقال:{ مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا} إلى سبعمائة ضعف، وجزاء الحسنة ليس سواء، فجزاء الإصلاح بين اثنين ليس كجزاء الإصلاح بين أبوين لأُسرة لها أطفال، ولا مثل الإصلاح بين أسرتين، ولا وبين قبيلتين وهكذا{ وَمَن جَاء بِالسَّيِّئَةِ فَلاَ يُجْزَى إِلاَّ} سيئة{ مِثْلَهَا} وجزاء السيئة ليس سواء، فالإفساد بين اثنين ليس كالإفساد بين زوجين لهم أطفال، ولا كالإفساد بين أسرتين، ولا بين قبيلتين، ومن سننه تعالى أنّ جزاء الحسنة والسيئة ليس سواء في الدنيا والآخرة في قوله تعالى في سورة الجاثية:{ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ}﴿٢١﴾ ثمّ أكّد تعالى فقال:{ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ} مثقال ذرة لقوله تعالى في سورة النساء:{ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا}﴿٤٠﴾.

ثمّ قال تعالى:{ قُلْ} للنّاس{ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ} أي لهذا الدين، وهو{ دِيناً قِيَماً} أي ذِي قيمٍ عالية فاضلة، يُقوّمُ كل معوج، وفُصِّلت آياتُه من لدن حكيم خبير، وهو{ مِّلَّةَ} ودينَ{ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً} المستقيم على الحقِّ والخير، والتارك لكل شِركٍ ومُنكر، وهو صبغة الله كما قال تعالى في سورة البقرة:{ صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةًۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ}﴿١٣٨﴾ ثمّ أكّد تعالى وقال:{ وَمَا كَانَ} إبراهيم

(ع‌س){ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} كما أشرك اليهود والنصارى عندما قال تعالى عنهم في سورة التوبة:{ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ}﴿٣٠﴾.

ثمّ أمر تعالى رسوله ﷺ فقال{ قُلْ إِنَّ صَلاَتِي} أي إني عابدٌ بصلاتي{ وَنُسُكِي} من ذبح هديٍ{ وَمَحْيَايَ} طُول عُمري{ وَمَمَاتِي} أي إلى وفاتي{ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لاَ شَرِيكَ} ولا نِد ولا عَدل{ لَهُ} وما لسواه تعالى من شيءٍ ولا نصيب في السماوات ولا في الأرض{ وَبِذَلِكَ} كُلِّه{ أُمِرْتُ} من ربي{ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ} المستسلمين المنقادين المؤتمرين بأمره تعالى، ثمّ أمر تعالى رسوله ﷺ فقال:{ قُلْ} للنّاس{ أَغَيْرَ اللهِ أَبْغِي رَبّاً} ومعبودًا{ وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ} ربُّ العالمين، وحُكمَه تعالى وقضائه ماضٍ في خلقه.

ثمّ أشار تعالى إلى بعض ثوابته الراسخة فقال أولًا:{ وَلاَ تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ} ذكر أو أنثى من خير أو شر{ إِلاَّ} وجزاءها{ عَلَيْهَا} في الدنيا قبل الآخرة، فمن يعمل مثقال ذرة خيرًا يره، ومن يعمل مثقال ذرةٍ شرًا يره، ثانيًا:{ وَلاَ تَزِرُ} أي ولا تتحمل{ وَازِرَةٌ} مُذنبة{ وِزْرَ} وذَنب{ أُخْرَى} ولو كان ذي قربى لقوله تعالى في سورة فاطر:{ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا

قُرُبَآ ...}﴿١٨﴾ ثالثًا:{ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ} يوم القيامة{ فَيُنَبِّئُكُم} ويقضي بينكم{ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ} رابعًا:{ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلاَئِفَ الأَرْضِ} أي يخلُف بعضكم بعضًا، وأمّة بعد أمّة{ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ} في الرزق، وكل ما يُنتفع به من مكانة وفَهم وعِلم ومال رزق{ لِّيَبْلُوَكُمْ} وليمتحنكم{ فِي} كل{ مَا آتَاكُمْ} من رزق{ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ} في الدنيا قبل الآخرة{ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ} لمن استغفر عن ذنبه، وتاب عنه ولم يعد إليه، وعمل صالحًا وأناب{ رَّحِيمٌ} لخلقه وبالمؤمنين رؤوف رحيم.

الملخص: -

برَّأ تعالى رسوله ﷺ من المتفرقين شيعًا وأحزابًا، وأنذرهم بعذاب عظيم، وبيّن بعض ثوابته الراسخة.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة الأعراف ترتيبها (٧) آياتها (٢٠٦)

سورة الأعراف من السبع السُّور الطوال.

(١-١٠) القسم بأنّه تعالى أنزل القرآن على رسوله ﷺ، للإنذار الكافرين وذكرى للمؤمنين، والتحذير من مغبة الكفر في الدنيا والآخرة

المص ﴿١﴾ كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلاَ يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ اتَّبِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلاَ تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءهَا بَأْسُنَا بَيَاتاً أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ ﴿٤﴾ فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءهُمْ بَأْسُنَا إِلاَّ أَن قَالُواْ إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٥﴾ فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴿٧﴾ وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَـئِكَ الَّذِينَ خَسِرُواْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِآيَاتِنَا يِظْلِمُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾

يقسم تعالى بأربع حروف من للغة العربية، الألف واللام والميم والصاد قائلًا:{ المص} لما للحروف من أهمية بالغة في الكتابة وتدوين العُلوم، ومن أَجَلِّها القرآن العزيز وسنّة الرسول ﷺ، ولو كان معنى هذه الحروف مجهولًا لأهل اللغة من للكافرين العرب، لذمّوا القرآن وأهله

بِشِعرهم وعُلِّق في الكعبة، وهم الذين لم يتوانوا عن تكذيب الرسول ﷺ وقِتاله، وتحزَّبوا لاستأصله من المدينة المنورة في غزوة الأحزاب، وجواب القسم الأوَّل:{ كِتَابٌ} عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم خبير{ أُنزِلَ إِلَيْكَ} ﷺ ومن آمن به إلى يوم الدين، ثمّ أرشد تعالى للإنذار به فقال:{ فَلاَ يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ} ولا ضيق ولا غضاضة{ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ} النّاس كقوله في قوله تعالى في سورة طه:{ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ}﴿١٢٤﴾ وجواب القسم الثاني{ وَ} هو{ ذِكْرَى} لما كان من الأمم، وموعظة{ لِلْمُؤْمِنِينَ} كقوله تعالى في سورة الأنبياء:{ ثُمَّ صَدَقْنَـٰهُمُ ٱلْوَعْدَ فَأَنجَيْنَـٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ}﴿٩﴾.

ثمّ أمر تعالى الناس عامة باتباعه فقال:{ اتَّبِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ} من عقيدة وعبادات وأخلاق ومعاملات{ وَلاَ تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِ} وأقلّ منه شأنًا وعلمًا وحكمة مِن{ أَوْلِيَاء} لا يملكون لكم نفعًا ولا ضُرًا، ولكن أسفًا{ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ} وتتعظون وتؤمنون، ثمّ حذّر تعالى النّاس من عقوباته بذكر شيئًا من ماضي الغيب فقال:{ وَكَم مِّن قَرْيَةٍ} كثيرةٍ قبلكم{ أَهْلَكْنَاهَا} لكفرها وإعراضها{ فَجَاءهَا بَأْسُنَا} وعذابنا{ بَيَاتاً} ليلًا وهم نائمون{ أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ} وضح النهار وهم مُبصرون، كقوله تعالى في سورة غافر:{ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۖ وَهَمَّتْ كُلُّ

أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ۖ وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ ﴿٥﴾ ومن سننه تعالى ألّا يهلك قريةً ظالمةً حتى يبعث فيها رسولًا لقوله تعالى في سورة القصص:{ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ﴾ ﴿٥﴾ وقد ختم تعالى رُسله بسيد المرسلين ﷺ، وجعله للناس كافّة لقوله تعالى في سورة سبأ:{ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٢٨﴾.

ثمّ قال تعالى:{ فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ} وقولُهم ودعائُهم{ إِذْ جَاءهُمْ بَأْسُنَا} ونزل عليهم عذابنا{ إِلاَّ أَن قَالُواْ إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ} لكفرهم وشركهم واستكبارهم، ثمّ أكّد تعالى فقال:{ فَلَنَسْأَلَنَّ} يوم القيامة الأمم{ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ} كقوله تعالى في سورة الأنعام:{ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ ...﴾ ﴿١٣٠﴾ { وَلَنَسْأَلَنَّ} الأنبياء{ الْمُرْسَلِينَ} عن أقوامهم.

ثمّ أكَّد تعالى قائلًا:{ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم} يوم القيامة ونخبرهم بما كان منهم{ بِعِلْمٍ} حقٍ منّا{ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ} عنهم وعن أعمالهم{ وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ} لأفعالهم ونياتهم يوم القيامة هو{ الْحَقُّ} والعدل والقسط{ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ} بالصالحات والحسنات{ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} الفائزون المنعَّمون{ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ} من الحسنات والصالحات{ فَأُوْلَـئِكَ

الَّذِينَ خَسِرُواْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِآيَاتِنَا يِظْلِمُونَ} ويُكذِّبون ويستكبرون، كقوله تعالى في سورة الأنعام:{ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلۡعَذَابُ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ}﴿٤٩﴾ ثمّ وبَّخهم تعالى فقال:{ وَلَقَدۡ مَكَّنَّاكُمۡ فِي الأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ} كثيرة، ولكن{ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ} وقد ذكر تعالى كثيرًا من تلك المعايش الغير موفرة في الكواكب الأخرى في سورة النحل فقال:{ وَٱلۡأَنۡعَٰمَ خَلَقَهَاۖ لَكُمۡ فِيهَا دِفۡءٞ وَمَنَٰفِعُ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمۡ فِيهَا جَمَالٞ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسۡرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحۡمِلُ أَثۡقَالَكُمۡ إِلَىٰ بَلَدٖ لَّمۡ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلۡأَنفُسِۚ إِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿٧﴾ وَٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةٗۚ وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٨﴾ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنۡهَا جَآئِرٞۚ وَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٩﴾ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗۖ لَّكُم مِّنۡهُ شَرَابٞ وَمِنۡهُ شَجَرٞ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرۡعَ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلۡأَعۡنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهُۥٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي سَخَّرَ ٱلۡبَحۡرَ لِتَأۡكُلُواْ مِنۡهُ لَحۡمٗا طَرِيّٗا وَتَسۡتَخۡرِجُواْ مِنۡهُ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَاۖ وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَأَلۡقَىٰ فِي

ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ وَأَنۡهَٰرٗا وَسُبُلٗا لَّعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٥ وَعَلَٰمَٰتٖۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ}١٦.

الملخص: -

أقسم تعالى بأنّه أنزل القرآن على رسوله ﷺ لإنذار الكافرين، وذكرى للمؤمنين، وحذَّر تعالى الكافرين من مغبة كفرهم في الدنيا والآخرة.

(١١-١٨) بيان حقائق من ماضي الغيب، وفضح إبليس، وإخراجه من الجنّة، وتَوَعُد من كفر.

وَلَقَدۡ خَلَقۡنَٰكُمۡ ثُمَّ صَوَّرۡنَٰكُمۡ ثُمَّ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ لَمۡ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ١١ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسۡجُدَ إِذۡ أَمَرۡتُكَۖ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ١٢ قَالَ فَٱهۡبِطۡ مِنۡهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخۡرُجۡ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ١٣ قَالَ أَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ١٤ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ١٥ قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ١٦ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ١٧ قَالَ ٱخۡرُجۡ مِنۡهَا مَذۡءُومٗا مَّدۡحُورٗاۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمۡ أَجۡمَعِينَ ١٨

بيّن تعالى حقيقةً من ماضي الغيب الواجب الإيمان به فقال:{ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ} أي في قضائنا وقدرنا، ودوّن ذلك في اللوح المحفوظ،

وفي صلب آدم، ولن تزيد ولن تنقص نفسٌ عن ذلك، وأخذ تعالى العهد عليهم وهم كالذّر لقوله تعالى في سورة الأعراف:{ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ}﴿١٧٢﴾ ولما ورد في مستدرك الإمام الحاكِم على الصحيحين عن ابن عباس ψ عن النبي ﷺ قال:" أخذ الله الميثاق من ظهر آدم، فأخرج من صلبه ذريةً ذرأها فنثرهم نثرًا بين يديه كالذَّر، ثم كلَّمهم، فقال: ألست بربكم؟ قالوا: بلى شهدنا ..."{ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ} أي في قضائنا وقدرنا، وفي اللوح المحفوظ، وفي أرحام أمهاتكم لقوله تعالى في سورة آل عمران:{ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ} الغالب في كل أسمائه وصفاته{ ٱلْحَكِيمُ} في كل شأنه وقضائه وقدره.

ثمّ أشار تعالى إلى حقيقةً أخرى من ماضي الغيب فقال:{ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ} من بعد خلق آدم (ع‌س){ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ} طائعين لِما آتاه تعالى من عِلم الأسماء التي لم تكن تعلمها الملائكة لقوله تعالى في سورة البقرة:{ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَـٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَـٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ

وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴿٣٣﴾ فسجدوا{ إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ} وكان من المتعالين المستكبرين، فسأله تعالى ليفضح حقيقة ما في قلبه{ قَالَ مَا مَنَعَكَ} أي ما الذي منعك{ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ} وأنا ربك وأنت عبدي{ قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ} وما هو بخيرٍ منه إذ عصى ربّه، ويَخلُد في النّار مع الخالدين، وعبارة" أنا خير منه" من قول إبليس الشائعة بين النّاس، وقال:{ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ} فالنّار تحرق الطين، فأغواه تعالى على العِلم الذي عنده، كقوله تعالى في سورة الجاثية:{ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴿٢٣﴾.

ثمّ أمر تعالى به و{ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا} أي من الجنة{ فَمَا يَكُونُ لَكَ} من حقٍ{ أَن تَتَكَبَّرَ} وتعصي{ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ} الحقيرين الملعونين إلى يوم الدين لقوله تعالى في سورة ص:{ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ}﴿٧٨﴾ فـ{ قَالَ} مستعليًا متحديًا{ أَنظِرْنِي} وأجل أجلي{ إِلَى يَوْمِ} القيامة يوم{ يُبْعَثُونَ} فـ{ قَالَ إِنَّكَ مِنَ المُنظَرِينَ} إلى يوم يبعثون{ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي} أي بمعصيتي واستكباري{ لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ} وسبِيلَك وهَديَك{ الْمُسْتَقِيمَ} الذي من اتبعه لا يضل ولا يشقى، ومن أعرض عنه فإنّ له معيشة ضنكًا ويُحشر يوم القيامة

أعمى{ ثُمَّ لآتِيَنَّهُم} مُوسوسًا في صدورهم{ مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ} فأزين لهم دنياهم ولهوهم{ وَمِنْ خَلْفِهِمْ} لأُكفِّرَهم بآخرتهم من البعث والجنة والنار{ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ} فألقي الشبهات في دينهم الحق وحسناتهم{ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ} فأزين لهم الباطل وشهواتهم وسيئاتهم، كما وردت المعاني في التفاسير{ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ} بعد ذلك{ شَاكِرِينَ} حامدين، كقوله تعالى في سورة النساء:{ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ ...}﴿١١٩﴾ فـ{ قَالَ} تعالى:{ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْؤُوماً} مذمومًا عند ملائكتي وفي رسالاتي ممقوتًا مطرودًا{ مَّدْحُوراً} حقيرًا في جهنّم، ثمّ أكّد تعالى فقال:{ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ} أي من الجنِّ والإنس{ لأَمْلأنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ} كقوله تعالى في سورة الأعراف:{ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَـٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَـٰفِلُونَ}﴿١٧٩﴾.

الملخص: –

بيّن تعالى حقائق من ماضي الغيب الواجب الإيمان به، وفضح إبليس، وأخرجه من الجنّة، وتَوَعُد من كفر.

(١٩-٢٧) بيان حقائق من ماضي الغيب بخصوص آدم (عس) وتحذيره من الاقتراب من الشجرة، وإغواء إبليس له، وتحذير بني آدم من غواية إبليس.

وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلاَ مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَـذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَـذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلاَّهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشاً وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ يَا بَنِي آدَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاء لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾

بيّن تعالى حقيقة من ماضي الغيب بخصوص آدم (عس) والواجب الإيمان بها فقال:{ وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ} والتي لم تكن مستقر، ولكن لغاية محدودة لقوله تعالى في سورة البقرة:{ قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا ...}﴿٣٨﴾ { فَكُلاَ مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا} من الجنّة{ وَلاَ تَقْرَبَا هَـذِهِ الشَّجَرَةَ} لتأكلا منها{ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ} العاصين{ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ} ليضلهما للعهد الذي أخذه على نفسه بإضلال آدم (عس) وذريته كما قال تعالى عنه في سورة النساء:{ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ ...}﴿١١٩﴾ و{ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ} وأخفي{ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا} للغائط، فثمار الجنَّة ليس منها بول ولا غائط{ وَقَالَ} مفتريًا على الله تعالى فرية عظيمة:{ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَـذِهِ الشَّجَرَةِ} والأكل منها{ إِلاَّ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ} في الجنّة، وقد توعد تعالى المفترين عليه في قوله تعالى في سورة هود:{ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ}﴿١٨﴾ والذين توعدهم تعالى بجهنّم في قوله تعالى في سورة ص:{ قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ}﴿٨٥﴾ ثمّ قال تعالى:{ وَقَاسَمَهُمَا} أي وأقسم لهما كذبًا مرةً أخرى، وأكّد قسمه قائلًا:{ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ} الصادقين، كقوله تعالى في سورة طه:{

فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴿١٢٠﴾ { فَدَلاَّهُمَا} وزيّن لهما الباطل{ بِغُرُورٍ} أي بحلفه لهما أن يكونا ملكين أو من الخالدين، فصدقاه كونهما لا يعرفان الكذب، فأكلا منها{ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ} احتاجا للتغوط و{ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا} اللاتي أخفيت عنهما{ وَطَفِقَا} مجتهدان{ يَخْصِفَانِ} ويرقعان{ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ} لتغطية سوآتهما{ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا} يذكرهما قائلًا:{ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ} من قبل أولًا؟{ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ} ثانيًا، فـ{ قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا} بتصديق إبليس والأكل من الشجرة{ وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا} ما بدر منّا{ وَتَرْحَمْنَا} فيما بقي من حياتنا وأخرانا{ لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ} فتاب تعالى عليهما لقوله تعالى في سورة طه:{ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ}﴿١٢٢﴾ ليكون خليفة في الأرض لقوله تعالى في سورة البقرة:{ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ...}﴿٣٠﴾ و{ قَالَ اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ} مؤمن وكافر، ثمّ أشار تعالى إلى شيءٍ من مستقبل الغيب فقال:{ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ} لِتعيشا فيها{ وَمَتَاعٌ} تتمتعون به{ إِلَى حِينٍ} والأجل المسمى، و{ قَالَ فِيهَا} أي في الأرض{ تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ} ليوم الحساب.

ثمّ ذكّر تعالى ببعض نِعمه على النّاس فقال:{ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً} أي جعلنا لكم لباسًا كما ورد في تفسير مقاتل بن سليمان{

يُوَارِي} ويغطي ويستر{ سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشاً} أي ما حسُن من اللباس كما ورد في قواميس اللغة، ثمّ ذكَّر تعالى بأهمية التقوى في الدين من عقيدة وعبادات وأخلاق ومعاملات فقال:{ وَلِبَاسُ التَّقْوَىَ} أي والتخلق بالتقوى فـ{ ذَلِكَ خَيْرٌ} في الدنيا والآخرة لقوله تعالى في سورة النحل:{... لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ ٱلْأَخِرَةِ خَيْرٌ ۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ}﴿٣٠﴾ { ذَلِكَ} أي تلك النِّعم من اللباس والريش والتقوى{ مِنْ آيَاتِ اللهِ} ونعمه التي لا تُعد ولا تحصى{ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ} نِعمه تعالى فيتقون، ثمّ حذّر الله تعالى بني آدم من غواية الشيطان فقال:{ يَا بَنِي آدَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ} ولا يُضلنَّكم{ الشَّيْطَانُ} في الدنيا فتعاقبون فيها قبل الآخرة كما عاقب أبويكم لقوله تعالى في سورة طه:{ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ}﴿١٢٤﴾ ثمّ قال تعالى:{ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ} بغوايته{ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا} الذي كان يسترهما{ لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا} وعورتهما، ثمّ ذكّر تعالى بطبيعة الجن فقال:{ إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ} من الجن{ مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ} فتمسَّكوا بما أمركم الله تعالى به وانتهوا عمّا نهاكم عنه، واحذروا غواية إبليس، ثمّ ذكَّرَ تعالى بالغاية من خلق إبليس فقال:{ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاء} ونصراء{ لِّلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ} ليضلوهم، وللذين يتناسون أحكام وشرائع الله تعالى لقوله تعالى في سورة الزخرف:{ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَـٰنِ

نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ}﴿٣٧﴾.

الملخص: -

بيّن تعالى حقائق من ماضي الغيب الواجب الإيمان بها بخصوص آدم (ع‌س)، وحذَّره من الاقتراب من الشجرة، ولكن أغواه إبليس، ثم حذَّر تعالى بني آدم من غواية إبليس وإضلاله.

(٢٨-٣٤) الرد على تشريعات الكفرين افتراءاتهم، وبيان ما أحلّ تعالى وما حرَّم، والتذكير بأنّ لكل أمة أجل معلوم.

وَإِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءنَا وَاللّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاء أَتَقُولُونَ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقاً هَدَى وَفَرِيقاً حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلاَلَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاء مِن دُونِ اللّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾ يَا بَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّهِ الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِى لِلَّذِينَ آمَنُواْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِاللّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَن تَقُولُواْ

عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاء أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾

بعد أن حذّر تعالى بني آدم من فتنة إبليس وإضلاله، استنكر على تشريعات وذرائع أولياء الشيطان فقال:{ وَإِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً} والفاحشةُ هو ما يشتد قُبحُه من الذنوب كما ورد في تفسير معاني القرآن وإعرابه، أو الأمور التي عقوبتها عذاب أليم أو عظيم أو شديد، وعلى فاعلها الحدّ كالجلد، ومنه طوافهم بالبيت عراة، و{ قَالُواْ} أي تذرَّعوا وبرروا فعلهم بقولهم:{ وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءنَا} فتمسكنا بها، وكقولهم: هؤلاء شفعاؤنا عند الله، وما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى، ثم ازادوا كذبًا وشناعة فقالوا:{ وَاللّهُ أَمَرَنَا بِهَا} فـ{ قُلْ} ردًا عليهم:{ إِنَّ اللّهَ لاَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاء} والطواف ببيته عُراةً، بل ينهى عنها وعن كل منكر{ أَتَقُولُونَ عَلَى اللّهِ} وتنسبون له{ مَا لاَ تَعْلَمُونَ} وتفترون، و{ قُلْ} لهم بل{ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ} وإقامة العدل ولو كان ذي قربى{ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ} مصلّين{ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ} وأثناء السجود{ وَادْعُوهُ} وحده وتوسلوا وتضرعوا وابتهلوا إليه{ مُخْلِصِينَ} صادقين، واجعلوا{ لَهُ الدِّينَ} عقيدةً وعباداتً وأخلاقًا وفي معاملاتكم، فـ{ كَمَا بَدَأَكُمْ} وخلقكم أوّل مرة{ تَعُودُونَ} وتبعثون قطعا إليه، فـ{ فَرِيقاً هَدَى} تعالى لدينه لاتباعهم هديه لقوله تعالى في سورة طه:{... فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ}﴿١٢٣﴾{ وَفَرِيقاً حَقَّ} ووجب{ عَلَيْهِمُ الضَّلاَلَةُ} لعصيانهم وإعراضهم

واستكبارهم لقوله تعالى في سورة طه:{ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ}﴿١٢٤﴾ وسبب ذلك{ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاء} ناصحين ومرشدين{ مِن دُونِ اللهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ} كقوله تعالى في سورة الزخرف:{ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ}﴿٣٧﴾.

ثمّ أمر تعالى النّاس فقال:{ يَا بَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ} وما حسنُ من لباسكم{ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ} لأداء الصلاة{ وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ} مما أحلّ تعالى لكم{ وَلاَ تُسْرِفُواْ} رياءً وبذخًا وتبذيرًا{ إِنَّهُ} تعالى{ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ} ومن سننه تعالى أن يهلك المسرفين لقوله تعالى في سورة الأنبياء:{ ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ}﴿٩﴾ ثمّ استنكر تعالى طوافهم بالبيت الحرام عُراة فقال:{ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ} أوّلًا، ثانيًا{ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ} الذي حرموه على الناس لقوله تعالى في سورة المائدة:{ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ}﴿١٠٣﴾ وكما قال تعالى عنهم في سورة الأنعام:{ وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ ۚ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُواْ

يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾ وَقَالُواْ مَا فِي بُطُونِ هَـٰذِهِ ٱلْأَنْعَـٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا ۖ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ ۚ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾﴿١٣٩﴾.

ثمّ بيّن تعالى الحُكم فيها فقال:{ قُلْ هِي} أي اللباس للطواف بالبيت الحرام، والطيبات من الرزق، وما حرّموا على أنفسهم بغير علم فهي حلال{ لِلَّذِينَ آمَنُواْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} وهي{ خَالِصَةً} لهم دون من كفر{ يَوْمَ الْقِيَامَةِ} فـ{ كَذَلِكَ} وبمثل هذا البيان{ نُفَصِّلُ الآيَاتِ} والأدلة والأحكام{ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} دين الله، وليميزوا به بين الحقّ والباطل، ثمّ بيّن تعالى ما حرّم فقال:{ قُلْ} وقولوا للكافرين والمشركين:{ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ} أي ما اشتد قُبحه ووجب فيه الحدّ كالزنا{ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ} أي في السِّر والعلن أوّلًا، ثانيًا{ وَالإِثْمَ} أي المعاصي والذنوب التي ليس فيها حدّ، وما يُكره أن يطلع عليه الناس{ وَالْبَغْيَ} على أحكام الله تعالى وشرائعه، وعلى حقوق الناس{ بِغَيْرِ الْحَقِّ} ثالثًا{ وَأَن تُشْرِكُواْ بِاللهِ} تعالى{ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً} ولا دليل عليه ولا بَيِّنَة رابعًا{ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ} فتحلون وتحرمون بغير علم خامسًا، ثمّ حذّر تعالى من التسويف وتأخير التوبة فقال:{ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاء أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً} ولا لحظةً{ وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ}.

الملخص: -

ردّ تعالى على تشريعات الكفرين وافتراءاتهم، وبيّن عموم مما أحل وحرّم، وحذّر بأنّ لكل أمة أجل لا يؤخر.

(٣٥-٣٩) التذكير بإرسال الرسل، وبيان جزاء افتراء الكذب على الله وتكذيب الرسل، والإشارة إلى حوار الأمم الكافرة في النار.

يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا أُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُوْلَـئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ حَتَّى إِذَا جَاءتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُواْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا وَشَهِدُواْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَافِرِينَ ﴿٣٧﴾ قَالَ ادْخُلُواْ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّن الْجِنِّ وَالإِنسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعاً قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لأُولاَهُمْ رَبَّنَا هَـؤُلاء أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَاباً ضِعْفاً مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَـكِن لاَّ تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتْ أُولاَهُمْ لأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُواْ الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾

ذكّر تعالى بإرسال الرسل فقال:{ يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ} أي إذا ما أتاكم{ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي} أي سنني وجزاءاتي التي أمضيتها في الأمم التي قبلكم، كقوله تعالى في سورة الفجر:{ أَلَمْ تَرَ

كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلۡعِمَادِ ٧ ٱلَّتِي لَمۡ يُخۡلَقۡ مِثۡلُهَا فِي ٱلۡبِلَٰدِ ٨ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخۡرَ بِٱلۡوَادِ ٩ وَفِرۡعَوۡنَ ذِي ٱلۡأَوۡتَادِ ١٠ ٱلَّذِينَ طَغَوۡاْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ١١ فَأَكۡثَرُواْ فِيهَا ٱلۡفَسَادَ ١٢ فَصَبَّ عَلَيۡهِمۡ رَبُّكَ سَوۡطَ عَذَابٍ ١٣ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ}١٤ { فَمَنِ اتَّقَى} في عقيدته وعباداته وأخلاقه ومعاملاته{ وَأَصْلَحَ} في كل شأنه{ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ} في الدنيا{ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ} في الآخرة، لقوله تعالى في سورة طه:{... فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ}١٢٣ ثمّ فقال:{ وَالَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا أُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} كما ولهم معيشةً شديدة قاسية في الدنيا لقوله تعالى في سورة طه:{ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ}١٢٤.

ثمّ أكَّد تعالى أنّه لا أعظم ظلما وذنبًا من أمرين، الأول:{ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِباً} مهما صغر، كقوله تعالى عنهم في سورة الأنعام:{ أَوۡ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمۡ يُوحَ إِلَيۡهِ شَيۡءٞ ...}٩٣ ليضل الناس بغير علم، فأولئك لا يهديهم تعالى لدينه لقوله تعالى في سورة الأنعام:{ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ}١٤٤.

والثاني فقال:{ أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ} تعالى إذ جاءته فـ{ أُوْلَـئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم} من العقوبة{ مِّنَ الْكِتَابِ} أي التي نصّ عليها في كتابه القرآن العزيز، حيث بيّن تعالى أنّ ليس لهم فلاح في الدنيا ولا الآخرة لقوله تعالى في سورة يونس:{ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ}﴿١٧﴾.

ثم تحدث تعالى عن شيءٍ من مستقبل الغيب عن المفترين على الله والمكذِّبين بآياته فقال:{ حَتَّى إِذَا جَاءتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُواْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ} من آلهة وشركاء وأوثان{ مِن دُونِ اللهِ} لم ينصرونكم ولم ينقذونكم عند سكرات الموت{ قَالُواْ ضَلُّواْ} وغابوا وتاهوا{ عَنَّا} وتركونا للحق الذي نشاهد ونرى{ وَشَهِدُواْ} بذلك{ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَافِرِينَ} بالله تعالى، كقوله تعالى في سورة الأنعام:{ يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَـٰذَا ۚ قَالُواْ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَـٰفِرِينَ}﴿١٣٠﴾.

ثمّ بيّن تعالى شيئًا آخر من مستقبل الغيب لحالهم وجدالهم في النّار فـ{ قَالَ}:{ ادْخُلُواْ فِي} ومع{ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ} ومضت{ مِن قَبْلِكُم مِّن الْجِنِّ وَالإِنسِ فِي النَّارِ} فـ{ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ} في جهنّم{ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا} التي قبلها، كقولهم لولا أنتم لكنّا مؤمنين{ حَتَّى إِذَا ادَّارَكُواْ} وتجمعوا{

فِيهَا جَمِيعاً قَالَتْ أُخْرَاهُمْ} من الأمم التي دخلت النّار{ لأُولاَهُمْ رَبَّنَا هَـؤُلاء أَضَلُّونَا} واتبعنا دينهم{ فَآتِهِمْ} اليوم{ عَذَاباً ضِعْفاً مِّنَ النَّارِ} جزاء إضلالنا، فـ{ قَالَ} تعالى بل{ لِكُلٍّ} منكم{ ضِعْفٌ} فلأولاهم ضعف بالغواية والإضلال، ولأُخراهم ضعف من العذاب بسبب الاتباع دون دليل، وافتراء الكذب على الله، والتكذيب بآيات الله ورسله{ وَلَـكِن} كنتم{ لاَّ تَعْلَمُونَ} عظم العذاب الذي ستجدون، وكنتم تجحدون وتنكرون{ وَقَالَتْ أُولاَهُمْ} من الأمم{ لأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ} لتنالوا نصف عذابنا؟{ فَذُوقُواْ الْعَذَابَ} الضعف{ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ} من إضلال مَن بعدكم وافتراء الكذب على الله والتكذيب بآيات الله والرُّسل.

الملخص: –

ذكَّر تعالى بإرسال الرسل، وبيّن جزاء افتراء الكذب على الله وتكذيب الرسل، وأشار إلى حوار الأمم الكافرة في النار من مستقبل الغيب.

(٤٠-٤٣) بيان شيئٍ من مستقبل الغيب وحاضره عند سكرات موت الكافرين، وبشارات المؤمنين.

إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لاَ تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاء وَلاَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾

وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ لاَ نُكَلِّفُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا أُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ وَقَالُواْ الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِى هَدَانَا لِهَـذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُواْ أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾

بيّن تعالى جانبًا من حاضر الغيب في المكذِّبين بآيات الله تعالى والمستكبرين عنها فقال:{ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا} في الدنيا{ وَاسْتَكْبَرُواْ} واستعلوا{ عَنْهَا} عنادًا وعصيانًا{ لاَ تُفَتَّحُ لَهُمْ} أي لا تفتح لأرواحهم عند موتهم{ أَبْوَابُ السَّمَاء} الدنيا عند استفتاح الملائكة للعروج بها في السماوات{ وَلاَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ} ويدخل{ الْجَمَلُ فِي سَمِّ} أي في ثُقب إبرة{ الْخِيَاطِ} فمحالٌ أن يدخلوها{ وَكَذَلِكَ} أي وبمثل ذلك{ نَجْزِي} أمثالهم{ الْمُجْرِمِينَ} في الدنيا والآخرة لقوله تعالى في سورة السجدة:{ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ}﴿٢٢﴾.

ولما ورد مختصرًا من حديثٍ طويلٍ في مسند الإمام أحمد بن حنبل عن البراء بن عازب (رلع) قال: خرجنا مع النبي ﷺ في جنازة رجل من الأنصار، فانتهينا إلى القبر، ولمَّا يُلحَد، فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله ... حتى قال: وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاعٍ من

الدنيا وإقبالٍ من الآخرة، نزل إليه من السماء ملائكةٌ سود الوجوه، معهم المَسُوح(ليدهُنوا رُوحه) فَيجلِسُون منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الخبيثة، أُخرجي إلى سخطٍ من الله وغضب" قال:" فَتَفَرَّق(أي فتتفرّق روحه) في جسده، فينتزعها كما يُنتَزَع السَّفُّود من الصوف المبلول(أي كما يُنزع سيخ الحديد من اللحم المشوي، كما وردت المعاني في قواميس اللغة، فيأخذها، فإذا أخذها لم يَدَعُوها(أي الملائكة سود الوجوه) في يده طرفة عين حتى يجعلوها(أي يغمسوها) في تلك المسوح، ويَخرُجُ منها كأنتن رِيحِ جِيفةٍ وجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها، فلا يمرون بها على ملأٍ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الخبيث؟! فيقولون: فلان بن فلان، بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا، حتى يُنتَهَى به إلى السماء الدنيا، فيستفتح له، فلا يفتح له" ثم قرأ رسول الله ﷺ:" لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط" فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتابه في سِجِّين(أي مع الفجُّار كما ورد المعنى في قواميس اللغة وبعض التفاسير) في الأرض السفلى، فتطرح رُوحه طرحا"(أي فتُقذَفُ بقوّة إلى الأرض السفلى) ثم قرأ" ومن يشرك بالله فكأنما خرَّ من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق" فتعاد روحه في جسده، ويأتيه ملكان، فيُجلِسانِه، فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: هاه

هاه لا أدري، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فينادي مناد من السماء: أن كَذَّب، فافرشوا له من النّار، وافتحوا له بابا إلى النار، فيأتيه من حرها وسُمُومِها، ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه، ويأتيه رجل قبيح الوجه، قبيح الثياب، منتن الريح، فيقول: أبشر بالذي يسوؤك، هذا يومك الذي كنت تُوعد، فيقول: من أنت؟ فوجهك الوجه يجيء بالشر، فيقول: أنا عملك الخبيث، فيقول: رب لا تقم الساعة". فيستخلص من هذا الحديث أن الأرواح لا تموت إلى يوم القيامة فمنهم شقي ومنهم سعيد.

ثمّ بيّن تعالى حالهم في حاضر الغيب فقال:{ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ} أي بُسط وفُراش{ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ} أي ظُلَل من نار لقوله تعالى في سورة الزمر:{ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ}﴿١٦﴾ فيمتد عذابهم إلى يوم القيامة{ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ} بمثل ذلك الجزاء، ثمّ قال تعالى:{ وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ لاَ نُكَلِّفُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا} أي ما تطيق من تكاليف، كما ورد في تفسير مقاتل بن سليمان، فـ{ أُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} أبدًا، ثمّ بيَّن تعالى شيئًا من مستقبل الغيب في الجنّة فقال:{ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ} على بعض، فتصفى نُفوسَهم ويكونون إخوانًا على سرر متقابلين، في جنّات{ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ} ومن خلالها{ الأَنْهَارُ وَقَالُواْ} حامدين شاكرين{ الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَـذَا}

الدين والعمل الصالح{ وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ} من أنفسنا{ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللّهُ} برُسُله ووحيه، وبما علم تعالى عنّا من مستقبل الغيب{ لَقَدْ جَاءتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ} فآمنّا{ وَنُودُواْ} أي من الملائكة{ أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ}٤٣ من الصالحات وتُصدقون.

الملخص: -

بيّن تعالى شيئًا من مستقبل الغيب لحال الكافرين عند سكرات موتهم وبشارات المؤمنين.

(٤٤-٥١) جانب من حوار أصحاب الجنة والنار وأصحاب الأعراف، وتأكيد أنّ نعيم الجنة محرَّم على أهل النار.

وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّاً فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقّاً قَالُواْ نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً وَهُم بِالآخِرَةِ كَافِرُونَ ﴿٤٥﴾ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْاْ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاء أَصْحَابِ النَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَنَادَى أَصْحَابُ الأَعْرَافِ رِجَالاً يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُواْ مَا أَغْنَى عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهَـؤُلاء الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لاَ يَنَالُهُمُ اللّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُواْ الْجَنَّةَ لاَ خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلاَ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾

وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُواْ عَلَيْنَا مِنَ الْمَاء أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّهُ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ الَّذِينَ اتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْواً وَلَعِباً وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُواْ لِقَاء يَوْمِهِمْ هَـذَا وَمَا كَانُواْ بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾

أخبر تعالى عن جانب من مستقبل الغيب لحوارٍ بين أهل الجنّة والنّار فقال:{ وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ} المنعَّمين فيها{ أَصْحَابَ النَّارِ} المعذبين المُنَكلِ بهم فيسألونهم ساخرين:{ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا} ورُسله{ حَقّاً} في الجنان والنعيم المقيم{ فَهَلْ وَجَدتُّم} يأهل النّار الآن{ مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقّاً} وصدقًا من ذُل وهوان وحقار{ قَالُواْ نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ} من الملائكة كما ورد في تفسير مقاتل بن سليمان{ أَن لَّعْنَةُ اللهِ} وغضبه وسُخطه{ عَلَى الظَّالِمِينَ} الكافرين عنادًا وعصيانًا واستكبارًا، بسبب أنهم{ الَّذِينَ} كانوا{ يَصُدُّونَ} النّاس{ عَن سَبِيلِ اللهِ} ودينه وهديه{ وَيَبْغُونَهَا} أي ويريدون جعل التشريع والقوانين والأنظمة والأحكام{ عِوَجاً} ومخالفةً لهديه تعالى ودينه{ وَهُم بِالآخِرَةِ كَافِرُونَ} منكرون جاحدون مستهزئون{ وَبَيْنَهُمَا} أي وبين أهل الجنة وأهل النّار{ حِجَابٌ} يحجب نعيم الجنة عن الكافرين، ويحجب فيح جهنم ولهبها عن المؤمنين.

ثمّ بيّن تعالى أمرًا آخر من مستقبل الغيب فقال:{ وَعَلَى الأَعْرَافِ} والأعراف هو كل ما علا وارتفع، وهو جمع عُرف، كعرف الديك مثلًا،

وهو أَعالِي سور بين أهل الجنة وأهل النّار، وهم رجال استوت حسناتهم وسيئاتهم، فلم يستحقُّوا الجنة ولا النّار، كما ورد في قاموس لسان العرب كقوله تعالى في سورة التوبة:{ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ}﴿١٠٦﴾ وكقوله تعالى في سورة التوبة:{ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}﴿١٠٢﴾.

وأصحاب الأعراف{ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ} من أصحاب الجنّة وأصحاب النّار{ بِسِيمَاهُمْ} التي في وجوههم، كما قال تعالى في سورة القيامة:{ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ}﴿٢٥﴾ { وَنَادَوْاْ} أي أصحاب الأعراف{ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ} وبَشَّروهم قائلين:{ أَن سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ} من الله تعالى، لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون{ لَمْ يَدْخُلُوهَا} بعد{ وَهُمْ يَطْمَعُونَ} في دخولها{ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ} أي أهل الجنّة{ تِلْقَاء أَصْحَابِ النَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} الكافرين العاصين{ وَنَادَى أَصْحَابُ الأَعْرَافِ رِجَالاً يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ} الكالحة الباسرة فـ{ قَالُواْ} أي فسألوهم{ مَا أَغْنَى} وما نفع وما دفع وما أجدى{ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ} ومؤيِّدُوكم ونُصرائكم اليوم؟{ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ} أي وما أغنى عنكم استكباركم على الله وهديه ودينه والمؤمنين، ثمّ يوبخونهم فيقولن:{

أَهَـؤُلاء} الضعفاء والفقراء والمساكين{ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ} في الدنيا أن{ لاَ يَنَالُهُمُ اللهُ بِرَحْمَةٍ}؟ فيقول تعالى لهم:{ ادْخُلُواْ الْجَنَّةَ لاَ خَوْفٌ عَلَيْكُمْ} اليوم من عذاب{ وَلاَ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ} فيها.

ثمّ عرض تعالى مشهدًا آخر من مستقبل الغيب فقال:{ وَنَادَى} أي واستغاث واستصرخ{ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُواْ} وأغدقوا وأكثروا{ عَلَيْنَا مِنَ الْمَاء أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ} من نعيم، فـ{ قَالُواْ} وحسَّروهم:{ إِنَّ اللهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ} بسبب أنّهم{ الَّذِينَ اتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْواً وَلَعِباً} واستهزاءً واستكبارًا{ وَغَرَّتْهُمُ} وخدعتهم الشياطين و{ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا} وزينتها وبهرجتها{ فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ} في جهنّم لا يذوقون فيها بردًا ولا شرابًا{ كَمَا} أي جزاء ما{ نَسُواْ لِقَاء يَوْمِهِمْ هَـذَا وَمَا كَانُواْ بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ} ويكفرون وينكرون ويستهزؤون.

الملخص: –

بيّن تعالى جانبًا من مستقبل الغيب لحوار أصحاب الجنة والنار وأصحاب الأعراف، وأكد تعالى أنّ نعيم الجنة حرام على أصحاب النّار.

(٥٢-٥٨) التحذير من مغبة الكفر، وتأكيد أنّ الله تعالى خالق كل شيء، ودعوة الناس للإيمان، والإشارة إلى بعض آياته تعالى.

وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾
هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ

جَاءتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاء فَيَشْفَعُواْ لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُواْ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّه الَّذِى خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّه رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾ ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴿٥٥﴾ وَلاَ تُفْسِدُواْ فِى الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً إِنَّ رَحْمَتَ اللّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَهُوَ الَّذِى يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَاباً ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاء فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْموْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِى خَبُثَ لاَ يَخْرُجُ إِلاَّ نَكِداً كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾

يحذِّ تعالى الكافرين فيقول:{ وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ} أي القرآن العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد{ فَصَّلْنَاهُ} ووضحنا معانيه{ عَلَى عِلْمٍ} بكلّ شيءٍ في السماوات والأرض، وجعله تعالى أوَلًا:{ هُدًى} ينير عقيدتهم وعباداتهم وأخلاقهم ومعاملاتهم، ويضمن سعادتهم في الدنيا والآخرة، ويجنبهم الشقاء فيهما لقوله تعالى في سورة طه:{... فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا

وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ﴿١٢٤﴾ ثانيًا:{ وَرَحۡمَةً} أي ويجلب لهم الرحمة من الله تعالى، فيحلّ لهم الطيبات، ويحرّم عليهم الخبائث التي تجلب الأسقام، كالزنا والواط والخمر والتدخين ولحم الخنزير وغير ذلك{ لِّقَوۡمٍ يُؤۡمِنُونَ} ويوقنون ويصدقون.

ثمّ حذّر تعالى المستكبرين فقال:{ هَلۡ يَنظُرُونَ} أي وهل ينتظرون{ إِلاَّ} أن يأتيهم{ تَأۡوِيلَهُۥ} وما أخبر به من قيام الساعة والبعث والحساب والجزاء ليؤمنوا، ثمّ بيّن تعالى كيف سيكون حالهم من مستقبل الغيب فقال:{ يَوۡمَ يَأۡتِي تَأۡوِيلُهُۥ} ويرى الظالمون ما وعدهم تعالى به فسـ{ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ} وكفروا واستهزأوا{ مِن قَبۡلُ} متحسرين{ قَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّ} الذي نشاهد{ فَهَل لَّنَا} اليوم{ مِن شُفَعَآءَ} ووسطاء{ فَيَشۡفَعُواْ لَنَآ} عند ربّنا ليُخلصنا من عذابه{ أَوۡ نُرَدُّ} إلى الدنيا مرة أخرى{ فَنَعۡمَلَ} فيها{ غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ} من كفر وإلحاد وسخرية واستهزاء، فنؤمن ونُصدق ونعمل صالحًا، ولكن لا ينفعهم إيمانهم لم يكونوا آمنوا من قبل فـ{ قَدۡ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ} ورأوا لعذاب{ وَضَلَّ عَنۡهُم} وخدعهم{ مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ} ويكذبون ويسخرون.

ثمّ أكّد تعالى قائلًا:{ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ} من أيّامه تعالى، ويومه تعالى كألف سنة لقوله في سورة الحج:{... وَإِنَّ يَوۡمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلۡفِ سَنَةٖ مِّمَّا تَعُدُّونَ}﴿٤٧﴾ فخلَقهما في

ستة آلاف (٦٠٠٠) سنة من سِنِيّ الأرض، بعد أن كانتا دخانًا لقوله تعالى في سورة فصّلت:{ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ}﴿١١﴾ { ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ} أي وستتب ودان له الأمر، وخضع له تعالى كل شيءٍ، ولا معقب لحكمه.

ثمّ بيّن تعالى حقيقة أخرى فقال:{ يُغْشِى} أي يُغطي{ اللَّيْلَ النَّهَارَ} والنهار ليس إلّا طبقة رقيقة على الأرض تبلغ أربعمائة وثمانون (٤٨٠) كيلوا متر، والذي عبَّر تعالى عنه بسِلخ شاة، لرقته بالنسبة لقطر الأرض لقوله تعالى في سورة يس:{ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ}﴿٣٧﴾ ثمّ قال تعالى:{ يَطْلُبُهُ} أي يطلب الليل النهار ليتعاقبا{ حَثِيثاً} أي شيئًا فشيئًا.

ثمّ قال تعالى:{ وَالشَّمْسَ} أي وخلق تعالى الشمس{ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ} لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر{ بِأَمْرِهِ} وابدع خلقه وحسن تدبيره، ثمّ جزم تعالى فقال:{ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ} في الكون كلِّه، ما علمنا منه وما لا نعلم{ وَالأَمْرُ} أي وله تعالى الأمر في كل شيء، فلا يكون شيئًا في الكون إلّا بأمره، فـ{ تَبَارَكَ اللَّه} بخلق ذلك كله على مخلوقاته، فهو{ رَبُّ الْعَالَمِينَ} من ملائكة وإنس وجن وحيوان ونبات

وجماد، فهو{ ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ} وأبدع وأتقن{ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥۖ} كقوله تعالى في سورة النمل:{... صُنۡعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتۡقَنَ كُلَّ شَىۡءٍۚ ...}﴿٨٨﴾.

فلذلك فـ{ ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً} واسترحامًا وتوسلًا لعظمته{ وَخُفْيَةً} أي وسرًا بالليل والناس نيام{ إِنَّهُ} تعالى{ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ} المتطاولين عظمته ودينه وشرعه وأحكامه، فيلعنهم بالطبع على قلوبهم لقوله تعالى في سورة يونس:{... كَذَٰلِكَ نَطۡبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلۡمُعۡتَدِينَ}﴿٧٤﴾.

ثمّ حذّر تعالى فقال:{ وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا} وعمارتها، وإقامة الدين فيها بمخالفة شرعه وأحكامه{ وَادْعُوهُ} واسترحِموه واستعطِفوه{ خَوْفاً} من عقوبته{ وَطَمَعاً} في رحمته وفضله فـ{ إِنَّ رَحْمَتَ اللّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ} في عقيدتهم وعباداتهم وأخلاقهم ومعاملاتهم.

ثمّ أشار تعالى إلى نِعمةٍ أخرى فقال:{ وَهُوَ} تعالى{ الَّذِى يُرْسِلُ الرِّيَاحَ} بأمره{ بُشْراً} لكم من{ بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِ} وفضله وجوده وكرمه{ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ} وحملت{ سَحَاباً ثِقَالاً} بالمطر{ سُقْنَاهُ} ووجهناه{ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ} لا نبات فيها{ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاء} ولا ينزل المطر إلّا بالتأليف بين السحاب وجعل بعضه على بعض لقوله تعالى في سورة النور:{ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزۡجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيۡنَهُۥ ثُمَّ يَجۡعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلۡوَدۡقَ يَخۡرُجُ مِنۡ خِلَٰلِهِۦ ...}﴿٤٣﴾ { فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ} و{ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى} للحساب والجزاء{ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} فتؤمنون وتتقون، وقوله

تعالى لعلكم تذكرون لأن الأمّة ليست سواء لقوله تعالى في سورة فاطر:{ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ }﴿٣٢﴾.

ثمّ بيّن تعالى سننه فقال:{ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ} بالتصديق والإيمان{ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ} وثمرة عمله الصالح{ بِإِذْنِ رَبِّهِ} وأمره{ وَالَّذِى خَبُثَ} بالمعاصي والكفر{ لاَ يَخْرُجُ} ثمَره وناتج عمله{ إِلاَّ نَكِداً} وبؤسًا وحزنًا وتعاسةً، كما وردت المعاني في تفسير الطبري{ كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ} ونبيّنها ونضرب الأمثال{ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ} فيحمدون.

الملخص: -

حذَّر تعالى من مغبّة الكفر، وبيّن أنّ الخلق له تعالى، ودعا بني آدم للإيمان، وأشار تعالى إلى بعض آياته.

(٥٩-٧٢) الإشارة إلى جدل الأقوام الكافرة لرسلها، والسنن الإلهية التي مضت فيهم جزاء كفرهم واعراضهم واستكبارهم.

لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ إِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلاَلَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاَتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾

أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُواْ
وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا
الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْماً عَمِينَ ﴿٦٤﴾ وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً قَالَ يَا
قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ أَفَلاَ تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ
كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وِإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَا
قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ
رَبِّي وَأَنَاْ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى
رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَاذْكُرُواْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاء مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ
وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُواْ آلاء اللّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ قَالُواْ
أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ
مِنَ الصَّادِقِينَ﴿٧٠﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ
أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ اللّهُ بِهَا مِن
سُلْطَانٍ فَانتَظِرُواْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ ﴿٧١﴾ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ
مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾

أشار تعالى إلى شيئٍ من ماضي الغيب لجدل الأقوام الكافرة لرسلهم فقال:{ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً} (ع‌س) وهو أوّل رُسل أُولي العزم من بعد آدم (ع‌س){ إِلَى قَوْمِهِ} فبشّرهم وأنذرهم بِسُنَّة الله الخالدة التي بينها لآدم (ع‌س) في قوله تعالى في سورة طه:{ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا

بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ}﴿١٢٤﴾ ولا يُعذِّب تعالى قوما حتى يبعث فيهم رسولًا لقوله تعالى في سورة الإسراء:{ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا}﴿١٥﴾ { فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّهَ} ولا تعبدوا وَدًا ولا سُواع ولا يغوث ولا نسرًا، فـ{ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ} خالقٌ لكل شيءٍ{ غَيْرُهُ} وقال:{ إِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ} في الدنيا جزاء شرككم، فـ{ قَالَ الْمَلأُ} والأشراف{ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلاَلٍ} أو سحرٍ أو جنونٍ{ مُّبِينٍ} و{ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ}﴿٥٢﴾ كما قال تعالى في سورة الذاريات، فـ{ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلاَلَةٌ} ولا سحر ولا جنون{ وَلَكِنِّي رَسُولٌ} أرسلت إليكم{ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ} لـ{ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاَتِ رَبِّي} من عقيدة وعبادات وأخلاق ومعاملات{ وَأَنصَحُ لَكُمْ} من عذاب يوم أليم في الدنيا، وعذاب مقيم في الآخرة{ وَأَعْلَمُ مِنَ اللّهِ} الذي يُوحِي إليَّ{ مَا لاَ تَعْلَمُونَ} ثمّ استنكر عليهم فقال:{ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ} نزل{ عَلَى رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُواْ} وتتطهروا من عبادة الأوثان{ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} في الدنيا{ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ} المشحون{ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْماً عَمِينَ} عن آياته تعالى من

سماءٍ وبروجٍ ونجوم وأرضٍ وسحابٍ وجبالٍ وأنهارٍ وجناتٍ وثمار{ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ}﴿٢١﴾ كما قال تعالى في سورة الذاريات.

ثمّ ضرب تعالى مثلًا آخر من ماضي الغيب فقال:{ وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً} يكلمهم بلسانهم{ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ ...}﴿٤﴾ كما قال تعالى في سورة إبراهيم، فـ{ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ أَفَلاَ تَتَّقُونَ} وتؤمنون فـ{ قَالَ الْمَلأُ} وكبارهم{ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ} وسذاجة{ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ} على الله، فـ{ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ} ولا سذاجة{ وَلَكِنِّي رَسُولٌ} أرسلت{ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ} لـ{ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ} وهدى{ رَبِّي} من عقيدة وعبادات وأخلاق ومعاملات{ وَأَنَاْ لَكُمْ نَاصِحٌ} من عذابٍ في الدنيا والآخرة{ أَمِينٌ} لا أخفي عنكم شيئًا مما أرسلت به، ثمّ استنكر عليهم فقال:{ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءكُمْ ذِكْرٌ} وموعظةٌ{ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنكُمْ} وبلسانكم{ لِيُنذِرَكُمْ} من عذابه تعالى{ وَاذْكُرُواْ} نِعمه تعالى{ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاء مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ} المُغرقين{ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً} وقوّة{ فَاذْكُرُواْ آلاء اللّهِ} وما منَّ تعالى به عليكم من أنعام وبنين وجنّات وعيون، و{ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} في الدنيا والآخرة، فـ{ قَالُواْ} مُستَعلِين منكرين{ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّه وَحْدَهُ وَنَذَرَ} ونَترُك{ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا} من آلهة{ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا} من عذاب{ إِن كُنتَ} حقًا{ مِنَ الصَّادِقِينَ} فـ{ قَالَ}

جازمًا{ قَدْ وَقَعَ} وحقَّ{ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ} عذابًا{ وَغَضَبٌ} ثمّ استنكر عليهم فقال:{ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاء} آلهةٍ{ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ اللَّه بِهَا مِن سُلْطَانٍ} ولا كتابٍ ولا حُجَّةٍ ولا برهان{ فَانتَظِرُواْ} عذاب الله النازل بكم{ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ} ما الله فاعل بكم{ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا} بإهلاكهم وانقطاع نسلهم{ وَمَا كَانُواْ} أبدًا{ مُؤْمِنِينَ}.

الملخص: -

أشار تعالى إلى جدال الأقوام الكافرة برُسُلِهم، وأكّد مُضِي سننه فيهم جزاء انكارهم واستكبارهم.

(٧٣-٨٤) الإشارة إلى جدل قوم صالح ولوط- عليهما السلام- ومُضي السنن الإلهية فيهم جزاء كفرهم واستكبارهم.

وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّه مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَـذِهِ نَاقَةُ اللّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللّهِ وَلاَ تَمَسُّوهَا بِسُوَءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ وَاذْكُرُواْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاء مِن بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُوراً وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتاً فَاذْكُرُواْ آلاء اللّهِ وَلاَ تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُواْ لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحاً مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ قَالُواْ إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ

﴿٧٥﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ إِنَّا بِالَّذِىَ آمَنتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُواْ النَّاقَةَ وَعَتَوْاْ
عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُواْ يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾
فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ
لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِن لاَّ تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ ﴿٧٩﴾
وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّن الْعَالَمِينَ
﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاء بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾
وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُواْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ
يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا
عَلَيْهِم مَّطَراً فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾

أشار تعالى إلى شيئٍ من ماضي الغيب الواجب الإيمان به، لقوله تعالى في سورة البقرة:{ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ...}﴿٣﴾ والغاية من ذكر ماضي الغيب، والإيمان به، والسنن التي مضت فيهم، تحذير المؤمنون من التأسي بهم، لقوله تعالى في سورة يوسف:{ لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ ...}﴿١١١﴾ ومن سنن الله تعالى أن لا يُعذِّب قوما كفروا حتى يبعث فيهم رسولًا ينصحهم ويُحذِرهم لقوله تعالى في سورة الإسراء:{ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا}﴿١٥﴾ وما يرسل تعالى رسولًا إلّا بلسان قومه لِيَفهمُوا منه، وينقطع عذرهم يوم القيامة، لقوله تعالى

في سورة إبراهيم:{ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ ...}[٤].

فقال تعالى:{ وَإِلَى ثَمُودَ} أرسلنا إليهم{ أَخَاهُمْ صَالِحاً} (ع‌س) يدعوهم بِلُغتهم فـ{ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ} خالقُ كلِّ شيء، و{ قَدْ جَاءتْكُم بَيِّنَةٌ} ومعجزة{ مِّن رَّبِّكُمْ} كما طلبتم من صخر الجبال التي تنحتون، فـ{ هَـذِهِ نَاقَةُ اللّهِ} خلقها تعالى مباشرة من الصخر، وهي{ لَكُمْ آيَةً} ودليل على عظمته تعالى وقدرته{ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ} وتشرب{ فِي أَرْضِ اللّهِ} وأمّا الماء فلهم ولماشيهم يومًا، وللناقة يوم، وكانوا يحلبونها ويشربون ويدخرون منه كما ورد في تفسير القرطبي{ وَلاَ تَمَسُّوهَا} ولا تؤذوها{ بِسُوَءٍ} أي ولا تؤذوها بأقل سوء{ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} في الدنيا كما أخذ قوم نوح وعاد قبلكم{ وَاذْكُرُواْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاء مِن بَعْدِ عَادٍ} الذين أهلكهم الله تعالى بريح صرر عاتية، فأصبحوا أعجازُ نخلٍ خاوية{ وَبَوَّأَكُمْ} ومكَّن لكم{ فِي الأَرْضِ} حتى أصبحتم{ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا} أي من سهول الأرض، وما سهل في وديانها{ قُصُوراً} كثيرة تتباهون بها فارهين{ وَتَنْحِتُونَ} من{ الْجِبَالَ} فتجعلونها{ بُيُوتاً} تحميكم من البرد والنوازل{ فَاذْكُرُواْ آلاء اللّهِ} ونِعمه وفضله عليكم{ وَلاَ تَعْثَوْاْ} أي ولا تسعوا{ فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ} تشيعون الفساد فيها، فـ{ قَالَ الْمَلأُ} وكبار القوم وأشرافهم{ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ مِن

قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُواْ} وهم المسخرون لنحت الجبال وبناء القصور{ لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ} فلمستضعفون لم يؤمنوا جميعًا وقالوا:{ أَتَعْلَمُونَ} وتؤمنون{ أَنَّ صَالِحاً مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ} فـ{ قَالُواْ} أي المستضعفون:{ إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ} صالح (ع‌س)({ بِهِ مُؤْمِنُونَ} فـ{ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ} عنادًا{ إِنَّا بِالَّذِىَ آمَنتُمْ بِهِ كَافِرُونَ} جاحدون{ فَعَقَرُواْ النَّاقَةَ} جورًا وطغيانًا{ وَعَتَوْاْ} تجبرًا{ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُواْ} متحدين معاندين{ يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا} من عذاب{ إِن كُنتَ} حقًا وصدقًا{ مِنَ الْمُرْسَلِينَ} فحقّ عليهم العذاب{ فَأَخَذَتْهُمُ} وأهلكتهم{ الرَّجْفَةُ} وصيحة جبريل (ع‌س) بعد ثلاثة أيّام من قتل الناقة كما قال تعالى في سورة هود:{ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِى دَارِكُمْ ثَلَثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ}﴿٦٥﴾ { فَأَصْبَحُواْ} بعذاب الله تعالى{ فِى دَارِهِمْ} وبيوتهم وقصورهم{ جَاثِمِينَ} خامدين{ فَتَوَلَّى} متحسّرًا أسفًا مدبرًا{ عَنْهُمْ} بعد هلاكهم{ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ} وحذّرتكم{ وَلَكِن} كنتم{ لاَّ تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ}.

ثمّ ضرب تعالى مثلًا آخر من ماضي الغيب فقال:{ وَلُوطاً إِذْ} أنذر وحذّر واستنكر على قومه فـ{ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ} بالرجال شهوةً، فـ{ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّن الْعَالَمِينَ} فتتحملون وزر من عمل بها إلى يوم الدين، فـ{ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاء بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ} في المعاصي والخطيئة{ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ} له{

إِلاَّ أَن قَالُواْ أَخْرِجُوهُم} وانبذوهم{ مِّن قَرْيَتِكُمْ} فـ{ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ} فحقّ عليهم العذاب{ فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ} المؤمنين{ إِلاَّ امْرَأَتَهُ} إذ كفرت و{ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ} المهلكين{ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم} بذنوبهم{ مَّطَراً} من حجارة من سجين{ فَانظُرْ} وانظروا{ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ} وجزاء{ الْمُجْرِمِينَ} العاصين.

الملخص: -

أشار تعالى إلى جدل وكُفر وتَعنت قوم صالح ولوط- عليهما السلام- فمضت سننه تعالى فيهم جزاء كفرهم واستكبارهم وعصيانهم.

(٨٥-٩٣) جدل قوم شعيب (ع‌س) وبيان عقوبتهم جزاء كفرهم واستكبارهم.

وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلاَ تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلاَ تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجاً وَاذْكُرُواْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلاً فَكَثَّرَكُمْ وَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ آمَنُواْ بِالَّذِى أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُواْ فَاصْبِرُواْ حَتَّى يَحْكُمَ اللّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٧﴾ قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ

وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللّهِ كَذِباً إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَن نَّعُودَ فِيهَا إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً عَلَى اللّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴿٨٩﴾ وَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْباً إِنَّكُمْ إِذاً لَّخَاسِرُونَ ﴿٩٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٩١﴾ الَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْباً كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْباً كَانُواْ هُمُ الْخَاسِرِينَ ﴿٩٢﴾ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالاَتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٩٣﴾

للعبرة من تاريخ الأمم الغابرة، أشار تعالى إلى شيئٍ من ماضي الغيب الواجب الإيمان به، ومن أصدق من الله قيلًا، فقال تعالى:{ وَإِلَى مَدْيَنَ} أرسلنا إليهم{ أَخَاهُمْ} لا لأمهم ولا لأبيهم، ولكن للغتهم، وبلسانهم{ شُعَيْباً} (ع‌س) ف{ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّه} بطاعته فيما يأمركم به من عقيدة وعبادةٍ وأخلاق ومعاملات ف{ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ} أعطى كلِّ شيء خَلْقَهُ ثم هدى، ف{ قَدْ جَاءتْكُم بَيِّنَةٌ} ورسالة{ مِّن رَّبِّكُمْ} وبيان لعقوبة من كفر قبلكم، كقوم نوح وهود وصالح ولوط (ع‌س) { فَأَوْفُواْ} ولا تُنقصوا{ الْكَيْلَ} من حبوب وزبيب وما شابههما{ وَالْمِيزَانَ} أي ولا تنقصوا موازين النّاس من تمر ولحم وما شابههما{ وَلاَ

تَبْخَسُواْ} أي ولا تُنقصوا{ النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ} وحقوقهم، فيحلّ عليكم ما حلّ بمن عصى قبلكم{ وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا} وعمارتها وإقامة الدين فيها فـ{ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ} في الدنيا والآخرة{ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ} لقوله تعالى في سورة النحل:{ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ}﴿٩٧﴾ وقال:{ وَلاَ تَقْعُدُواْ} مُترصّدِين{ بِكُلِّ صِرَاطٍ} وسبيل{ تُوعِدُونَ} وتتوعدون{ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ} تعالى{ وَتَبْغُونَهَا} أي وتبغون الشرائع والأحكام والأنظمة والقوانين{ عِوَجاً} مخالفةً لأحكامه تعالى وشرعه{ وَاذْكُرُواْ إِذْ كُنتُمْ} أقوامًا{ قَلِيلاً فَكَثَّرَكُمْ} وزاد نسلكم{ وَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ} قبلكم من الأمم.

وقال لقومه:{ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ} وفريقٌ{ مِّنكُمْ آمَنُواْ} وصدّقوا بعقوبة الله تعالى فيمن قبلكم في الدنيا كما ورد المعنى في تفسير مقاتل بين سليمان، و{ بِالَّذِى أُرْسِلْتُ بِهِ} من ربي وربكم{ وَطَآئِفَةٌ} سخروا واستهزأوا لقوله تعالى في سورة هود{ قَالُواْ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْ ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ}﴿٨٧﴾ وطائفة{ لَّمْ يُؤْمِنُواْ} بعقوبة تعالى في الدنيا وما نزل من الحق{ فَاصْبِرُواْ حَتَّى يَحْكُمَ اللّهُ} ويقضي{ بَيْنَنَا} بعدله، فيُفلِح المؤمنون ويَخسر الكافرون{ وَهُوَ خَيْرُ} وأحسنُ وأعدلُ{ الْحَاكِمِينَ} فللذين آمنوا

البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لقوله تعالى في سورة يونس:{ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ}﴿٦٤﴾ وللظالمين الخزي في الدنيا والعذاب العظيم في الآخرة لقوله تعالى في سورة البقرة:{ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ}﴿١١٤﴾ فـ{ قَالَ الْمَلأُ} وأشراف القوم{ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِ} حالفين مقسمين{ لَنُخْرِجَنَّكَ} ولنُهَجِّرَنَّك{ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا} وبلدنا{ أَوْ لَتَعُودُنَّ} كُفارًا مرة أخرى{ فِي مِلَّتِنَا} وشركنا، فاستنكر عليهم و{ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ} ما تدينون به، وما جدتم عليه آبائكم؟ فإن فعلنا ذلك فـ{ قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللّهِ كَذِباً إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللّهُ مِنْهَا} وهدانا إلى صراط مستقيم{ وَمَا يَكُونُ لَنَا} ولن يكون{ أَن نَّعُودَ فِيهَا إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللّهُ رَبُّنَا} ويأذن لنا{ وَسِعَ رَبُّنَا} وأحاط بـ{ كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً} فـ{ عَلَى اللّهِ تَوَكَّلْنَا} صابرين محتسبين، ثمّ دعا فقال:{ رَبَّنَا افْتَحْ} واقضي{ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ} الحاكمين{ وَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِ} محذِّرين أهل قريتهم{ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْباً إِنَّكُمْ إِذاً لَّخَاسِرُونَ} فمضت سننه تعالى التي لا يستثنى منها أحد{ فَأَخَذَتْهُمُ}

وأحاطت بهم{ الرَّجْفَةُ} وزلزلتهم الصيحة يوم أن غشيتهم الظُلَّة{ فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ} لا حراك لهم، فأصبح{ الَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْباً كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ} ولم يتمتعوا{ فِيهَا} أي في الدنيا فـ{ الَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْباً كَانُواْ هُمُ الْخَاسِرِينَ} في الدنيا والآخرة{ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ} بعد هلاكهم أسِفًا{ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالاَتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ} من عقوبة ربي{ فَكَيْفَ آسَى} وأحزن{ عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ} مستكبرين.

الملخص: -

أشار تعالى إلى جدل قوم شعيب (ع‌س) والعقوبة التي مضت فيهم بهلاكهم جزاء كفرهم واستكبارهم.

(٩٤-١٠٢) بيان سنن الله تعالى في القرى الكافرة قبل إنزال العقوبة بهم، جزاء كفرهم وشركهم وطغيانهم.

وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلاَّ أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَواْ وَّقَالُواْ قَدْ مَسَّ آبَاءنَا الضَّرَّاء وَالسَّرَّاء فَأَخَذْنَاهُم بَغْتَةً وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ ﴿٩٥﴾ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَـكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتاً وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ اللّهِ فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩٩﴾

أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الأَرْضَ مِن بَعْدِ أَهْلِهَا أَن لَّوْ نَشَاء أَصَبْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآئِهَا وَلَقَدْ جَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ مِن قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللّهُ عَلَىَ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ ﴿١٠١﴾ وَمَا وَجَدْنَا لأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ ﴿١٠٢﴾

يؤكد تعالى على انّه لا يُعجِّل عقوبة قرية كانت كافرة في الدنيا إلّا بعد ابتلائهم ليتوبوا ويؤمنوا فقال:{ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ} كفرت{ مِّن نَّبِيٍّ} أي من آدم (ع‌س) إلى خاتم المرسلين ﷺ{ إِلاَّ أَخَذْنَا} وابتلينا وامتحنّا{ أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاء} أي بالحزن وشِّدة العيش{ وَالضَّرَّاء} أي بما يضرهم وتنزل بهم النوازل كما حصل لفرعون في قوله تعالى في سورة الأعراف:{ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ}﴿١٣٣﴾ والغاية من ذلك{ لَعَلَّهُمْ} ورجاء أن{ يَضَّرَّعُونَ} فيستغفرون ويتوبون ويؤمنون، كقوله تعالى في سورة السجدة:{ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ}﴿٢١﴾ أو أن يكون الامتحان بالحسن والسيئ كقوله تعالى في سورة الأعراف:{ وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ}﴿١٦٨﴾.

ثمّ قال تعالى:{ ثُمَّ بَدَّلْنَا} طبيعة البلاء فجعلنا{ مَكَانَ السَّيِّئَةِ} والبأس والضُّر والضوائق{ الْحَسَنَةَ} ورغد العيش ليتوبوا ويستغفروا ويلتزموا بهدي الله تعالى{ حَتَّى عَفَواْ} وكثر الخير ودبّ الرخاء وسُرّوا وابتهجوا{ وَّقَالُواْ} في لَهوِهِم يَسمرون{ قَدْ مَسَّ آبَاءنَا الضَّرَّاء وَالسَّرَّاء} ظنًا منهم أنّ ذلك من تقلبات الدهر، لا بتدبير الله تعالى{ فَأَخَذْنَاهُم} وأنزلنا عليهم العذاب{ بَغْتَةً} في غفلتهم{ وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ} أنّ العقوبة نازلةٌ عليهم.

وفي تلك الآيات إشارة إلى حقيقةٍ بأنّه لا يكون شيئًا في الكون من خيرٍ أو ضُر إلّا بإذنه تعالى، وأنّ الله تعالى هو المُسبب لكل شيء، وأنّ على الواثقين بالله تعالى تحذِير اللاّهِين الغافلين عن عقوبات الله تعالى، وأن يأمروهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر، وأن يتوبوا ويرجعوا إلى الله، والحقيقة الثانية أنّ ما ينطبق على القرى الكافرة ينطبق على الأفراد كقارون لمّا ابتُلِيَ بزينته، والذي قال تعالى عنه في سورة القصص:{ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ}﴿٨١﴾.

ثمّ بيّن تعالى الغاية من نزول البلاء أو النِعم فقال:{ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ} عند نزول البلاء أو النِعم{ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ} الرزق ورغد العيش{ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَـكِن كَذَّبُواْ} بالله تعالى

وجحدوا مُلكه وخَلْقَه لكل شيء{ فَأَخَذْنَاهُم} وأهلكناهم بعذاب{ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ} من جُحود ومعاصي وكُفرٍ وإلحاد.

ثمّ حذّر تعالى أهالي القرى الكافرة والمشركة والجاحدة فقال:{ أَفَأَمِنَ} وطمئنَّ{ أَهْلُ الْقُرَى أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا} وعذابنا{ بَيَاتاً} ليلًا{ وَهُمْ نَآئِمُونَ} غافلون{ أَوَ أَمِنَ} واطمئنّ{ أَهْلُ الْقُرَى أَن يَأْتِيَهُمْ} وينزل عليهم{ بَأْسُنَا} جزاء كفرهم وشركهم وعصيانهم وجُحودهم{ ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ} وينظرون.

ثمّ تأسّف تعالى على شدة كفرهم وشركهم وعصيانهم وجحودهم فقال:{ أَفَأَمِنُواْ} واطمئنوا من{ مَكْرَ اللّهِ} وعقوبته{ فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ} في الدنيا والآخرة لقوله تعالى في سورة الرعد:{... بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكْرُهُمْ وَصُدُّواْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ لَّهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَقُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ}﴿٣٤﴾.

ثمّ حذّر تعالى الناس قاطبةً أمَّةً بعد أمّةً فقال:{ أَوَلَمْ يَهْدِ} ويتبيّن{ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الأَرْضَ مِن بَعْدِ أَهْلِهَا أَن لَّوْ نَشَاء أَصَبْنَاهُم} وأنزلنا عليهم العذاب{ بِذُنُوبِهِمْ} أي بسبب ذنوبهم{ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ} الكفر لعنًا لهم، لعنادهم وعصيانهم وتجبرهم{ فَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ} أي فأصبحوا بذنوبهم لا يسمعون ف{ تِلْكَ الْقُرَى} التي أهلكناها{ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ

أَنۢبَآئِهَاۚ} وأخبارها كقوم نوح وهود وصالح ولوط وغيرهم ليتعظوا{ وَلَقَدْ جَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ} والأدلة والبراهين والمعجزات{ فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ} لاستحقاقهم اللعن من ربهم{ بِمَا كَذَّبُواْ مِن قَبْلُ} فـ{ كَذَلِكَ} وبسبب كل ذلك{ يَطْبَعُ اللّهُ عَلَىَ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ} باللعن، فلا يدخلها إيمان ولا يخرج منها كُفر{ وَمَا وَجَدْنَا لأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ} من وفاءٍ{ وَإِن وَجَدْنَا} أي ولكن وجدنا{ أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ} عاصين مارقين جاحدين.

الملخص: -

بيّن تعالى سننه في القرى الكافرة قبل إنزال العقوبة جزاء كفرهم وشركهم واستكبارهم وظلمهم.

(١٠٣-١٢٦) الإشارة إلى مُحاجة موسى (عس) لفرعون وقومه، وبطلان سحر السحرة وإشهار إيمانهم، وثباتهم عند محنتهم.

ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُواْ بِهَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾ وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَى أَن لاَّ أَقُولَ عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٠٥﴾ قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاء لِلنَّاظِرِينَ ﴿١٠٨﴾ قَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَـذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ قَالُواْ

أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَآئِنِ حَاشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾
وَجَاء السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُواْ إِنَّ لَنَا لأَجْراً إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ
وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُواْ يَا مُوسَى إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ نَحْنُ
الْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُواْ فَلَمَّا أَلْقَوْاْ سَحَرُواْ أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءوا
بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا
يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَانقَلَبُواْ
صَاغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُواْ آمَنَّا بِرِبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ
مُوسَى وَهَارُونَ ﴿١٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنتُم بِهِ قَبْلَ أَن آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَـذَا لَمَكْرٌ
مَّكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُواْ مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لأُقَطِّعَنَّ
أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلاَفٍ ثُمَّ لأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُواْ إِنَّا إِلَى
رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءتْنَا رَبَّنَا
أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾

أشار تعالى إلى شيءٍ من ماضي الغيب الواجب الإيمان به، لأنّه من الله تعالى، ولقوله في سورة النساء:{... وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا}﴿٨٧﴾{... وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا}﴿١٢٢﴾ فقال تعالى:{ ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم} أي من بعد قوم نوح وعاد وثمود ومدين{ مُّوسَى} (ع س){ بِآيَاتِنَا} من التوراة والمعجزات{ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيهِ} وكبار قومه{ فَظَلَمُواْ}

وكفروا{ بِهَا} وجحدوها{ فَانظُرْ} يا رسول الله ﷺ، وانظروا واعتبروا{ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ} وجزاء{ الْمُفْسِدِينَ} في الدنيا.

{ وَقَالَ مُوسَى} منذرًا ومبشرًا{ يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ} إليكم{ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ} لا إله إلّا هو، ولا ربَّ ولا معبود سواه، مالك المُلك، ومُعطي كل شيءٍ خَلْقَهُ ثمّ هُداه، ولا يكون شيئًا في الكون إلّا بأمره، و{ حَقِيقٌ} عليَّ وواجبٌ{ عَلَى أَن لاَّ أَقُولَ عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقَّ} والصدق، فـ{ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ} ومعجزات كما في قوله تعالى في سورة الشعراء:{ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ}﴿٣٣﴾ فذلكم{ مِّن رَّبِّكُمْ} الواحد الأحد{ فَأَرْسِلْ مَعِيَ} وخلِّ سبيل المُستَضعفِين من{ بَنِي إِسْرَائِيلَ} ولا تعذِّبهم ولا تُسخِرُهم كما تشاء، كما في قوله تعالى في سورة طه:{... فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ...}﴿٤٧﴾.

فـ{ قَالَ} فرعون مستهزأً متحديًا{ إِن كُنتَ جِئْتَ بِآيَةٍ} ومعجزة{ فَأْتِ بِهَا إِن كُنتَ} يقينًا{ مِنَ الصَّادِقِينَ} المحقّين{ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ} للعيون{ وَنَزَعَ يَدَهُ} من جيبه{ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاء} ناصعةً مضيئة من غير سوءٍ ولا عِلّة{ لِلنَّاظِرِينَ} فـ{ قَالَ الْمَلأُ} والأشراف{ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ} جازمين{ إِنَّ هَـذَا لَسَاحِرٌ} ضليعٌ عارفٌ خبيرٌ{ عَلِيمٌ} وقال فرعون كما ورد في تفسير الألوسي محذرًا الملأ:{ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ} بتبديل دينكم، لقوله تعالى عنه في سورة غافر:{... إِنِّيٓ

أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ﴿٢٦﴾ ولو بدّلوا دينهم بعبادة الله دون فرعون لقتلهم كما قتل السحرة، والقتل بمثابة الإخراج من الأرض وأشنع{ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ} وتنصحون وتشيرون؟ فـ{ قَالُواْ أَرْجِهْ} وأخر موعده{ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَآئِنِ} من مصر{ حَاشِرِينَ} لـ{ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ} عارفٍ خبير{ وَجَاء السَّحَرَةُ} مستجيبين لـ{ فِرْعَوْنَ} فـ{ قَالُواْ} مُشترطين{ إِنَّ لَنَا لأَجْراً} وعطيةً{ إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ} فـ{ قَالَ} لهم{ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ} إن غلبتم{ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ} الحميمين.

فلمّا كان يوم الزينة{ قَالُواْ يَا مُوسَى إِمَّا أَن تُلْقِيَ} سحرك اوّلا{ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ} مبتدئين، فـ{ قَالَ أَلْقُواْ} ما تفترون{ فَلَمَّا أَلْقَوْاْ سَحَرُواْ أَعْيُنَ} وأبصار{ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ} فأفزعوهم وأذعروهم{ وَجَاءوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ} أوجف موسى (ع‌س) وأخافه{ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ} وتبتلع{ مَا يَأْفِكُونَ} ويفترون{ فَوَقَعَ} وظهر{ الْحَقُّ} وانتصر{ وَبَطَلَ} وزهق{ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ} ويمكرون{ فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ} في يوم زينتهم{ وَانقَلَبُواْ} راجعين{ صَاغِرِينَ} مخذولين{ وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ} وخرُّوا{ سَاجِدِينَ} مؤمنين، و{ قَالُواْ آمَنَّا بِرِبِّ الْعَالَمِينَ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ} و{ قَالَ فِرْعَوْنُ} ممتلئٌ غيظًا{ آمَنتُم} وصدقتم{ بِهِ قَبْلَ أَن آذَنَ لَكُمْ} وأنا ربكم الأعلى{ إِنَّ هَـذَا لَمَكْرٌ} وخديعةٌ{ مَّكَرْتُمُوهُ} معه{ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُواْ مِنْهَا أَهْلَهَا} ليبدلوا دينهم{ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ}

صنيعي بكم، فـ{ لأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلاَفٍ} أي فأقطع لِكلٍ منكم يدًا يمنى ورجلًا يسرى{ ثُمَّ لأُصَلِّبَنَّكُمْ} لتموتوا في النخل{ أَجْمَعِينَ} فـ{ قَالُواْ} صابرين محتسبين{ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ} مبعوثون{ وَمَا تَنقِمُ} وتسخط وتستاء{ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءتْنَا} { رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ} مخلصين.

الملخص: -

مُحاجة موسى (ع‌س) لفرعون وقومه، وبطلان سحر السحرة، وإشهار إيمانهم، وثباتهم عند محنتهم.

(١٢٧-١٣٧) تحريض آل فرعون على بني إسرائيل، وابتلاء آل فرعون وإصرارهم على الكفر وإهلاكهم، وتوريث بني إسرائيل الأرض المباركة.

وَقَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِ فِرْعَونَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءهُمْ وَنَسْتَحْيِ نِسَاءهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللّهِ وَاصْبِرُواْ إِنَّ الأَرْضَ لِلّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُواْ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِينَا وَمِن بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَونَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّن الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ فَإِذَا جَاءتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَـذِهِ وَإِن

تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَى وَمَن مَّعَهُ أَلا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللَّهِ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ وَقَالُواْ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِن آيَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلاَتٍ فَاسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْماً مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُواْ يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُم بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٣٦﴾ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُواْ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾

من المعلوم أنّ اليهود هم كل من اتبع موسى (ع‌س) عامّة، ومن بني إسرائيل خاصّة، وإسرائيل هو يعقوب (ع‌س)، والسحرة هم أوّل اليهود الذين أوذوا في الله تعالى وقطعت أيديهم وأرجلهم من خلاف وصلبوا حتى ماتوا في جُذوع النخل، فبداء آل فرعون تحريضه{ وَقَالَ الْمَلأُ} وأشرافهم{ مِن قَوْمِ فِرْعَونَ أَتَذَرُ} وتترك{ مُوسَى وَقَوْمَهُ} من يهود{ لِيُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ} فيبدلوا دينهم ودين النّاس{ وَيَذَرَكَ} بترك طاعتك{ وَآلِهَتَكَ} وعبادتك؟{ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءهُمْ} إن غيَّروا دينهم{ وَنَسْتَحْيِي

نِسَاءهُمْ} سُخرِيةً لخدمتنا{ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ} غالبون، و{ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللّهِ وَاصْبِرُواْ} على ما ابتليتم به، فـ{ إِنَّ الأَرْضَ لِلّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ} لقوله تعالى في سورة الأنبياء:{ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ}﴿١٠٥﴾ ثمّ نبَّه موسى (ع‌س) قومه فقال:{ وَالْعَاقِبَةُ} الحسنة في الدنيا والآخرة{ لِلْمُتَّقِينَ} لقوله تعالى في سورة يونس:{ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ}﴿٦٤﴾.

وورد في تفسير ابن جرير الطبري، وأبي حِبان الأندلسي، وشهاب الدين الألوسي في قوله تعالى:{ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللّهِ وَاصْبِرُواْ} عن ابن عباس، قال:" لما آمنت السحرة، اتبع موسى ستمائة ألف من بني إسرائيل" وفي هذا لقول نظر لقوله تعالى في سورة يونس:{ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْۚ ...}﴿٨٣﴾ أي فكفر معظم بني إسرائيل بموسى (ع‌س) وآثروا البقاء على دين يعقوب (ع‌س)، وهم ملعونون بكفرهم لقوله تعالى في سورة المائدة:{ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ}﴿٧٨﴾.

و{ قَالُواْ} متذمرين{ أُوذِينَا} بقتل أبنائنا وتسخيرنا{ مِن قَبْلِ أَن تَأْتِينَا} وتُبعث إلينا{ وَمِن بَعْدِ مَا جِئْتَنَا} فـ{ قَالَ} مُحَذِّرًا{ عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ} لقوله تعالى في سورة آل عمران:{ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ}﴿٥٦﴾ { وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الأَرْضِ} كما استخلف المؤمنين من قبلكم{ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ} عند استخلافكم.

ثمّ قال تعالى:{ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَونَ بِالسِّنِينَ} أي بالابتلاءات{ وَنَقْصٍ مِّن الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ} ويهتدون{ فَإِذَا جَاءتْهُمُ الْحَسَنَةُ} والنِّعم{ قَالُواْ لَنَا هَـذِهِ} وهي حقُّنا{ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ} وما يكرهون{ يَطَّيَّرُواْ} ويتشاءموا{ بِمُوسَى وَمَن مَّعَهُ} من المؤمنين، فردّ الله تعالى عليهم فقال{ أَلا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ} وما تشاءموا منه من{ عِندَ اللَّهِ} كقوله تعالى في سورة الشورى:{ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ}﴿٣٠﴾ { وَلَـكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ} سنن الله تعالى وسبب ابتلائهم.

ثمّ ازدادوا تعنتًا واستكبارًا{ وَقَالُواْ} لموسى (ع‌س){ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِن آيَةٍ} ومعجزة{ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا} وتصدنا عمّا نحن عليه{ فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ} ولا مصدقين{ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ} فأغرق محاصيلهم كما ورد في تفسير الطبري{ وَالْجَرَادَ} فأكل ما بقي منها{ وَالْقُمَّلَ} فأمرضهم{

وَالضَّفَادِعَ} فنكدت عيشهم{ وَالدَّمَ} في بيوتهم وثيابهم ومائهم وطعامهم كما ورد في تفسير الطبري{ آيَاتٍ مُّفَصَّلاَتٍ} متتاليات لعلهم يؤمنون{ فَاسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْماً مُّجْرِمِينَ} كافرين.

ثمّ قال تعالى:{ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ} أي ذلك العذاب{ قَالُواْ يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ} واختصّك به كما ورد في تفسير القرطبي{ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ} والعذاب{ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ} ونُصدِّقك، ولام التأكيد في قولهم لنؤمنن في محل قسم، ثمّ جزموا وقالوا:{ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ} ولام التأكيد في قولهم لنرسلنّ في محل قسم{ فَلَمَّا كَشَفْنَا} ورفعنا{ عَنْهُمُ الرِّجْزَ} والعذابات{ إِلَى أَجَلٍ هُم بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ} ويغدرون{ فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ} من البحر ذلك{ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا} كلّها{ وَكَانُواْ عَنْهَا غَافِلِينَ} مستكبرين{ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا} أي حول المسجد الأقصى لقوله تعالى في سورة الإسراء:{ سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ ...}﴿١﴾ { وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ} ووعوده{ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا} وجزاء ما{ صَبَرُواْ وَدَمَّرْنَا} وأهلكنا{ مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ} من كفر وشرك{ وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ} ويشيدون.

الملخص: -

بيّن تعالى تحريض آل فرعون على بني إسرائيل، وابتلاءات آل فرعون وإصرارهم على الكفر وإهلاكهم، وتوريث بني إسرائيل الأرض المباركة.

(١٣٨-١٤٧) بيان نعم الله تعالى على بني إسرائيل، وأمر موسى (ع‌س) وقومه بالتمسك بهدي الله تعالى بقوة، وبيان سننه تعالى في الفاسقين.

وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْاْ عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُواْ يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَـهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَـؤُلاء مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ اللّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَـهاً وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَإِذْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَونَ يَسُومُونَكُمْ سُوَءَ الْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءكُمْ وَفِي ذَلِكُم بَلاء مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾ وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلاَثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلاَ تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَمَّا جَاء مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَـكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً وَخَرَّ موسَى صَعِقاً فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاَتِي وَبِكَلاَمِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن

مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُواْ بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٤٥﴾ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ الرُّشْدِ لاَ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٤٦﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَلِقَاء الآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٤٧﴾

إنّ الفئة التي آمنت بموسى (ع‌س) قليلة جدا بالنسبة لبني إسرائيل لقوله تعالى في سورة يونس:{ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْۚ ...}﴿٨٣﴾ ولكن خرج معه (ع‌س) كل بني إسرائيل بمن كفر به، والذين حقت عليهم اللعنة لكفرهم لقوله تعالى في سورة المائدة:{ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ}﴿٧٨﴾ إلّا أن يُسلموا، وهم الذين خرجوا معه آذوه (ع‌س).

فذكَّرهم تعالى بعظيم نِعمه عليهم، وعظيم حجودهم فقال:{ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ} وفلقناه لهم، وأهلكنا فرعون وقومِه{ فَأَتَوْاْ عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ} مُنكَبّين مُنهَمِكِين{ عَلَى} عبادة{ أَصْنَامٍ لَّهُمْ} فـ{ قَالُواْ يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَـهاً} نعبده{ كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ} فـ{ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ} وحدانية

الله تعالى وعظمته وقدرته، ثمّ بيّن لهم بطلان عبادتهم فقال:{ إِنَّ هَـؤُلاء مُتَبَّرٌ} ومُدمرٌ{ مَّا هُمْ فِيهِ} من عُكُوف{ وَبَاطِلٌ} وحابطٌ{ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ} في الدنيا والآخرة لقوله تعالى في سورة آل عمران:{ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ}﴿٥٦﴾ ثمّ ارشدهم ف{ قَالَ أَغَيْرَ اللّهِ أَبْغِيكُمْ} وألتمس لكم{ إِلَـهاً} ومعبودًا{ وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ} من قبل، فجعل فيكم أنبياء وملوكًا لقوله تعالى في سورة المائدة:{ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَـٰقَوْمِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ}﴿٢٠﴾ ثمّ قال تعالى:{ وَإِذْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ} استعباد{ آلِ فِرْعَونَ} الذين كانوا{ يَسُومُونَكُمْ} ويُذِقُونكم{ سُوَءَ الْعَذَابِ} تسخيرًا و{ يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءكُمْ وَفِى ذَلِكُم بَلاءٌ} ومِحنةٌ{ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ}.

ثمّ قال تعالى:{ وَوَاعَدْنَا مُوسَى} للقائنا صيام{ ثَلاَثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ} لمّا استاك من خَلُوفِ فَمِه كما وردت المعاني في التفاسير{ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ} أي وفَّى ما وجب عليه من صيام{ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً} ومن ذلك يتبيّن عِظَم أجر الصيام وأهميته، ولما ورد في صحيح الإمام البخاري عن أبي هريرة (رلع) عن النبي ﷺ قال:" يقول الله عزَّ وجل:" الصوم لي وأنا أجزي به، يَدَعُ شهوته وأكلَه وشُربَه من أجلي،

والصوم جُنَّة، وللصائم فرحتان، فرحة حين يفطر، وفرحة حين يلقى ربه، ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك".

فاستخلف أخاه{ وَقَالَ مُوسَى لأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي} بخير{ فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ} أمر بني إسرائيل والحكم فيهم{ وَلاَ تَتَّبِعْ سَبِيلَ} وحِيَل{ الْمُفْسِدِينَ} المعرضين{ وَلَمَّا جَاء مُوسَى لِمِيقَاتِنَا} صائمًا{ وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ} مشافهةً دون وحيٍ ولا حجاب{ قَالَ رَبِّ أَرِنِي} أي أعطِ عيني القدرة لأستطيع أن{ أَنظُرْ إِلَيْكَ} فـ{ قَالَ لَن تَرَانِي} في الدنيا{ وَلَـكِنِ انظُرْ إِلَى} عِظم{ الْجَبَلِ} أمامك{ فَإِنِ اسْتَقَرَّ} ثابتًا{ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى} ونظر{ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً} مُستويًا بالأرض كقوله تعالى في سورة طه:{ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا}﴿١٠٧﴾ { وَخَرَّ موسَى صَعِقاً} مغشيًا عليه{ فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ} أنزهك وأبرئك مما لا يليق{ تُبْتُ إِلَيْكَ} من طلب النظر إليك{ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ} بك وبعظمتك، فـ{ قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ} واجتبيتك واخترتك{ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاَتِي} من التوراة{ وَبِكَلاَمِي} دون حجاب{ فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ} الحامدين.

ثمّ قال تعالى:{ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ} من التوراة{ مِن كُلِّ شَىْءٍ} يحتاجه لدينه و{ مَّوْعِظَةً} من سير الأنبياء{ وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَىْءٍ} من

عقيدة وعبادات وأخلاق ومعاملات، والتوراة والإنجيل كانتا هدًى للناس في زَمنهم لقوله تعالى في سورة آل عمران:{... وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ٣ مِن قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ ...}٤ { فَخُذْهَا} وتمسك بشرائعها وأحكامها{ بِقُوَّةٍ} لا تُفرِّط في شيءٍ منها{ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُواْ بِأَحْسَنِهَا} كقوله تعالى في سورة النساء:{ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٖ فَحَيُّواْ بِأَحۡسَنَ مِنۡهَآ أَوۡ رُدُّوهَآۗ ...}٨٦ فـ{ سَأُرِيكُمْ دَارَ} وجزاء{ الْفَاسِقِينَ} المعرضين، ثمّ بيّن تعالى جزاءه فيهم فقال:{ سَأَصْرِفُ عَنْ} فَهْمِ{ آيَاتِيَ} وديني{ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ} ثانيًا:{ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ آيَةٍ} ومعجزة وبرهان{ لاَّ يُؤْمِنُواْ بِهَا} ثالثًا:{ وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ الرُّشْدِ لاَ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً} ومنهجًا ومسلكًا، رابعًا{ وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً} وطريقًا{ ذَلِكَ} أي وسبب صرفهم عن ديني{ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَافِلِينَ} معرضين{ وَالَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَلِقَاء الآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ} الحسنة في الدنيا و{ هَلْ يُجْزَوْنَ} في الآخرة{ إِلاَّ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ} ويمكرون؟

الملخص: -

بيّن تعالى نِعَمَه على بني إسرائيل، وأمر موسى (ع‌س) وقومه بالتمسك بهديه بقوة، وبيّن تعالى سننه وجزاءاته في الفاسقين.

(١٤٨-١٥٤) اتخاذ بني إسرائيل العجل معبودًا لمّا استعجل موسى (عس) ملاقاة ربه، وتَوَعُّدِه تعالى عبدة العجل، وتوبته على من تاب

وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِن بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَداً لَّهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّهُ لاَ يُكَلِّمُهُمْ وَلاَ يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً اتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَالِمِينَ ﴿١٤٨﴾ وَلَمَّا سُقِطَ فِى أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْاْ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّواْ قَالُواْ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفاً قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِن بَعْدِيَ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِي فَلاَ تُشْمِتْ بِيَ الأَعْدَاء وَلاَ تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٥١﴾ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُواْ الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ وَالَّذِينَ عَمِلُواْ السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُواْ مِن بَعْدِهَا وَآمَنُواْ إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥٣﴾ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾

لا زال الله تعالى يطلعنا على شيءٍ من ماضي الغيب الواجب الإيمان به للاعتبار، فبعد أن أنزل تعالى التوراة على موسى (عس)، أمره وقومه أن يتمسكوا بها بقوة، ولا يفرطوا في شيءٍ منها، وبيّن سننه وجزاءاته في الفاسقين، ثمّ واعد تعالى موسى (عس) وقومه جانب

الطور الأيمن، كما قال تعالى في سورة طه:{ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ قَدۡ أَنجَيۡنَٰكُم مِّنۡ عَدُوِّكُمۡ وَوَٰعَدۡنَٰكُمۡ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنَ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰ}﴿٨٠﴾ لكنّ بني إسرائيل أشركوا بدل أن يَشكُروا، فاستنكر تعالى عليهم وقال:{ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِن بَعْدِهِ} (ع‌س){ مِنْ حُلِيِّهِمْ} التي سرقوها من آل فرعون كما قال تعالى في سورة طه:{... وَلَٰكِنَّا حُمِّلۡنَآ أَوۡزَارٗا مِّن زِينَةِ ٱلۡقَوۡمِ فَقَذَفۡنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلۡقَى ٱلسَّامِرِيُّ}﴿٨٧﴾ فأخرج لهم{ عِجْلاً جَسَداً} أصمٌ أبكم{ لَّهُ خُوَارٌ} كصوت البقر، وذلك لمّا استعجل موسى (ع‌س) ملاقاة ربه وذهب منفردًا كما قال تعالى في سورة طه:{ وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ مِنۢ بَعۡدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَمۡ يَعِدۡكُمۡ رَبُّكُمۡ وَعۡدًا حَسَنًاۚ أَفَطَالَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡعَهۡدُ أَمۡ أَرَدتُّمۡ أَن يَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُم مَّوۡعِدِي}﴿٨٦﴾ فبيّن تعالى أنّ طبيعة بني إسرائيل مادية، ضَعِيفِي الروحانية، بدليل قولهم آنفًا:" اجعل لنا إلهً كما لهم آلهة".

فاستنكر تعالى طَبعَهم وجَهلَهم وسُوءِ فِعلِهم فقال:{ أَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّهُ} جسدًا{ لاَ يُكَلِّمُهُمْ وَلاَ يَهْدِيهِمْ} شرعًا ولا يدلُّهم{ سَبِيلاً} ولا منهجًا{ اتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَالِمِينَ} بعبادتهم عجلًا جسدًا، ثانيًا: ظالمين بعصيانهم

ربَّهم الذي أنزل عليهم التوراة، وأمرهم أن يتمسكوا بها بقوّة، ثالثًا: ظالمين حيث لم ينفعهم وعيد الفاسقين، رابعًا: ظالمين لهمِّهم قتل هارون (ع‌س) لمّا نصحهم{ وَلَمَّا سُقِطَ فِى أَيْدِيهِمْ} ووضح لهم عدم رُشدهم{ وَرَأَوْاْ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّواْ} عن هدي الله تعالى استغفروا و{ قَالُواْ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ} في الدنيا والآخرة{ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ} لشركهم{ أَسِفاً} لاستعجاله الذهاب من دونهم، و{ قَالَ بِئْسَمَا} وتَعِسَ وشَقِيَ ما{ خَلَفْتُمُونِى} وما فعلتم{ مِن بَعْدِىَ} ثمّ عنّفهم وقال:{ أَعَجِلْتُمْ} واستعجلتم{ أَمْرَ} وعقوبة{ رَبِّكُمْ} وعذابه في الدنيا{ وَأَلْقَى الأَلْوَاحَ} من التوراة من شَدَّة غضبه{ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ} ولحيته{ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ} لقوله تعالى في سورة طه:{ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓ ۖ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى}﴿٩٤﴾ و{ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِى وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِى فَلاَ تُشْمِتْ بِىَ الأَعْدَاء وَلاَ تَجْعَلْنِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} وقد نصحهم هارون (ع‌س) من قبل فأبوا، كما قال تعالى في سورة طه:{ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓاْ أَمْرِى ﴿٩٠﴾ قَالُواْ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ}﴿٩١﴾ فـ{ قَالَ} موسى (ع‌س) داعيًا ربه{ رَبِّ اغْفِرْ لِى وَلأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ}.

ثمّ توعد تعالى عَبَدَة العجل في الدنيا وقال:{ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُواْ الْعِجْلَ} معبودًا{ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ} وبمثل ذلك الجزاء{ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ} على الله تعالى كذبًا وشركًا، ثمّ بيّن تعالى جزاء التائبين فقال:{ وَالَّذِينَ عَمِلُواْ السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُواْ مِن بَعْدِهَا وَآمَنُواْ إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ} لا يعاجلُ بالعقوبة{ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ} وهدأ غيظه{ أَخَذَ} ورفع{ الأَلْوَاحَ} من التوراة{ وَفِي نُسْخَتِهَا} وثناياها{ هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ} ويخافون ويتقون.

الملخص: -

بدل أن يشكر بني إسرائيل ربّهم بإرساله رسولًا لهم، وإنزاله التوراة عليهم، اتخذوا العجل معبودًا إذ ذهب موسى (ع‌س) لملاقاة ربه، وتوعد تعالى عَبَدَةَ العجل، وبيّن أنّه يتوب على من تاب.

(١٥٥-١٥٨) اختيار نُخبة من يهود لميقاته تعالى، وتضرع موسى (ع‌س)، وتأكيد أنّ فلاحهم باتباع ونصر الرسول ﷺ المبعوث للناس أجمعين.

وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِّمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاء مِنَّا إِنْ هِيَ إِلاَّ فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاء وَتَهْدِي مَن تَشَاء أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا

وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴿١٥٥﴾ وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَـذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَـا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاء وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَـاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾

لا يزال الخبر عن شيءٍ من ماضي الغيب الواجب الإيمان به، حيث قال تعالى:{ وَاخْتَارَ مُوسَى} (ع‌س) صَفوَةُ وخِيرَةُ{ قَوْمَهُ} المؤمنين به من يهود{ سَبْعِينَ رَجُلاً لِّمِيقَاتِنَا} الذي وقّته تعالى لهم، وقد ورد في تفسير ابن كثير وابن جرير الطبري" فاختار موسى قومه سبعين رجلا على عينه، ثم ذهب بهم ليعتذروا(أي عن عبادة العجل)، فلما أتوا ذلك المكان، قالوا: لن نؤمن لك يا موسى حتى نرى الله جهرة"، وفي هذا نظر، فالذين قالوا:" أرنا الله جهرة" هم بني إسرائيل الذين لم يؤمنوا بموسى (ع‌س) ولكن خرجوا معه، وهم الذين أخذتهم الصاعقة، ثمّ

بعثهم تعالى، ثمّ اتخذوا العجل من بعد نزول التوراة، لقوله تعالى في سورة البقرة:{ وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةً فَأَخَذَتۡكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثۡنَٰكُم مِّنۢ بَعۡدِ مَوۡتِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٥٦﴾ وَظَلَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡغَمَامَ وَأَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰۖ ...}﴿٥٧﴾ ولقوله تعالى في سورة النساء:{... فَقَالُوٓاْ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهۡرَةً فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلۡمِهِمۡۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ فَعَفَوۡنَا عَن ذَٰلِكَۚ وَءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينٗا}﴿١٥٣﴾.

ثمّ قال تعالى:{ فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ} أي السبعين رجلًا{ الرَّجْفَةُ} قال جُل المفسرون أنّ الله تعالى أهلكهم بالرجفة ثمّ أحياهم، وفي ذلك نظر، لقوله في سورة هود:{ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٖ وَأَهۡلُهَا مُصۡلِحُونَ}﴿١١٧﴾ ولقوله تعالى في سورة النجم:{ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰ}﴿٣٨﴾ فالسبعون لم يعبدوا العجل، وقد اختارهم موسى (ع‌س) من خيرة قومه، ولكن الأرجح أنّ المراد من" الرجفة" رجفة الجبل من خشية الله تعالى، والتي ألمت بهم لمّا اقتربوا من ملاقاة الله تعالى، كما كان لرسول ﷺ وصحابته لما صعدوا جبل أُحد، فيما رواه الإمام البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك (رلع) حدثهم: أن النبي ﷺ صعد أُحدًا، وأبو بكر وعمر وعثمان، فرجف بهم، فقال:" أُثبت أُحد، فإنما عليك نبي وصديق، وشهيدان".

فـ{ قَالَ} موسى (ع‌س) من الرهب{ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّاىَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاء} الذين عبدوا العجل{ مِنَّا} وسُنَّتك ألّا تزر وازرة وزر أخرى{ إِنْ هِىَ إِلاَّ فِتْنَتُكَ} وامتحانُك وتمحيصُك{ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاء وَتَهْدِى مَن تَشَاء} بحكمتك وعِلمِك وعدلك وعزَّتك، ولا يظلم ربك أحدًا، فـ{ أَنتَ وَلِيُّنَا} وهادينا ومؤيدنا وناصرنا{ فَاغْفِرْ لَنَا} ما كان من قومنا{ وَارْحَمْنَا} فيما بقي من عمرنا{ وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ} المُصفحين العافين{ وَاكْتُبْ لَنَا فِى هَـذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى الآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَـا} أي أسلمنا{ إِلَيْكَ} فالسبعون رجلًا كانوا من اليهود الذين آمنوا بموسى (ع‌س) وليسوا من عموم بني إسرائيل الذين عبدوا العجل.

فأجابه تعالى و{ قَالَ عَذَابِى أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاء} بحكمي وبعدلي وعزَّتي{ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ} من خلقي مؤمنهم وكافرهم{ فَسَأَكْتُبُهَا} خاصّةً{ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَـاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا} وديننا{ يُؤْمِنُونَ} ثمّ عرّفهم تعالى فقال:{ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِىَّ الأُمِّىَّ} ﷺ{ الَّذِى يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِى التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ} والذين يعرفونه كما يعرفون أبنائهم كما قال تعالى في سورة الأنعام:{ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ}﴿٢٠﴾ { يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ} كلُحُومِ الإبل والشحوم{ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ} كلحم

الخنزير وأخذهم الربا{ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ} أي ما غَلُظَ من العُهُود والمَواثيق{ وَالأَغْلاَلَ} أي الشرائع المشددة كمن قَتَلَ عمدًا أو خطأً يُقْتَل، لا تقبل منه الدية، وقرض ما أصاب الثياب من نَجَس، وتحريم العمل يوم السبت كما قال الزجاج{ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ} ﷺ{ وَعَزَّرُوهُ} وعظَّموه وأجلُّوه{ وَنَصَرُوهُ} ودينه ومن آمن به{ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ} أي القرآن{ الَّذِىَ أُنزِلَ مَعَهُ} كونه ناسخًا لكل دين فـ{ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} في الدنيا والآخرة، تشريفًا له ﷺ ولأمته، وبإصرارهم على الكفر برسول الله ﷺ حجبوا عن أنفسهم رحمة الله والفلاح في الدنيا والآخرة.

ثمّ أَمر تعالى رَسوله ﷺ فقال:{ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ} أي بلِّغهم{ إِنِّى رَسُولُ اللّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً} ويا معشر المؤمنين بلِّغوا النّاس أنّ محمد ﷺ أرسل إليهم جميعًا، فهو{ الَّذِى لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ} وأعطى كل شيءٍ فيهما خَلْقَهُ ثمّ هدى ليقوم بوظيفته في الكون فـ{ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِى وَيُمِيتُ} أُمّة بعد أمّة من إنس وجن وحيوان ونبات وغيره{ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ} ﷺ{ الَّذِى يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَكَلِمَاتِهِ} أي كتبه التي أنزلها، وما أخبر به من مستقبل الغيب{ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} فتفلحون.

وفي ذلك تشريف لرسول الله ﷺ وأمّته لما ورد في صحيح الإمام البخاري جابر بن عبد الله (رلع) أن النبي ﷺ قال:" أعطيت خمسا، لم يعطهن أحد قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي المغانم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس عامة".

الملخص: -

اختار موسى (عس) نُخبة من يهود لميقاته تعالى، وتَضَرَّع لله تعالى، وأكَّد تعالى أنّ فلاحهم باتباع ونصر الرسول ﷺ المبعوث للناس أجمعين.

(١٥٩-١٦٦) بيان مأل إليه اتباع موسى (عس) من يهود، وضرب المثل لمعاصيهم وجزائهم في الدنيا قبل الآخرة.

وَمِن قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾ وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطاً أُمَماً وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَـكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُواْ هَـذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُواْ حِطَّةٌ وَادْخُلُواْ الْبَابَ سُجَّداً نَّغْفِرْ

لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ قَوْلاً
غَيْرَ الَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزاً مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُواْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾
وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ
تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعاً وَيَوْمَ لاَ يَسْبِتُونَ لاَ تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ
نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ وَإِذَ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللَّهُ
مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً قَالُواْ مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ
﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ
ظَلَمُواْ بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنْهُ قُلْنَا
لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿١٦٦﴾

كشف تعالى في هذه الآيات ما آل إليه اتباع موسى (ع‌س) من بعده فقال تعالى:{ وَمِن قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ} ويَهتَدون{ بِالْحَقِّ} المنزل عليهم{ وَبِهِ يَعْدِلُونَ} ويَحكُمون{ وَقَطَّعْنَاهُمُ} فِرقًا عُقوبةً لهم{ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطاً} والسِّبط كما ورد في قواميس اللغة هو الامتداد للشيء، كالذرية، ويتبيّن أنّ الله تعالى قطَّعهم اثنى عشرة فِرقَةً في عهد موسى (ع‌س){ أُمَماً} كقبائل العرب، عقوبةً لفِسقِ كثير منهم لقوله تعالى في سورة الحديد:{... وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ}﴿١٦﴾ وامتحنهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون تائبين إلى الله لقوله تعالى في سورة الأعراف:{

وَقَطَّعۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أُمَمٗاۖ مِّنۡهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنۡهُمۡ دُونَ ذَٰلِكَۖ وَبَلَوۡنَٰهُم بِٱلۡحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴿١٦٨﴾ وصرَّح تعالى بشدة عداوتهم للمؤمنين في قوله تعالى في سورة المائدة:{ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ ...}﴿٨٢﴾.

ثمّ قال تعالى:{ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى} أي أرشدناه{ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ} طلبًا لسُقيا الماء{ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ} كنِعمة أولى، وكان الحجر مكعبا خفيفًا مربع الأوجه كما ورد المعنى في تفسير مقاتل بن سليمان{ فَانبَجَسَتْ} وانفجرت{ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً} لكل سبط منهم أو فِرقةٍ عين، لتعميق فِرقتهم{ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ} فلا يخالطهم فيها أحد، وسبب تفجير الماء من حجر بضربة من موسى (عس) لكي لا يجحدوا نعمة الله تعالى{ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ} عن لهب الشمس في أرض التيه كنعمة ثانية{ وَأَنزَلْنَا} أي ومننا{ عَلَيْهِمُ الْمَنَّ} كنعمة ثالثة، وهو ما امتن الله تعالى به عليهم دون علاج ولا حرث ولا بذر، والكمأة من المن لما ورد في صحيح الإمام البخاري عن سعيد بن زيد (رلع) قال: قال رسول الله ﷺ:" الكمأة من المن، وماؤها شفاء للعين" أي من مرض، وللمعيون من السحر وغيره، كما ذُكر في الصحيح{ وَالسَّلْوَى} من الطير كنعمة رابعة{ كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ} أي ولا تجعلوه خمرًا{ وَمَا ظَلَمُونَا} بجحودهم وعصيانهم{ وَلَـكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ

يَظْلِمُونَ} فحجبوا الهداية عن أنفسهم لقوله تعالى في سورة البقرة:{... وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ}﴿٢٥٨﴾ وحجبوا النبوّة عنهم لقوله تعالى في سورة البقرة:{... قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ}﴿١٢٤﴾ وعرضّو أنفسهم لِلّعن لقوله في سورة هود:{... أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ}﴿١٨﴾.

ثمّ ذكر تعالى جرمًا آخر فقال:{ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُواْ هَـذِهِ الْقَرْيَةَ} أي بيت المقدس{ وَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ} لِعِظم بركتها لقوله تعالى في سورة الأنبياء:{ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ}﴿٧١﴾ { وَقُولُواْ حِطَّةٌ} أي اغفر لنا خطايانا{ وَادْخُلُواْ الْبَابَ سُجَّداً} أي ملتزمين بهدي الله تعالى غير معرضين لـ{ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ} وذنوبكم و{ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ} إحسانًا وفضلًا{ فَبَدَّلَ} وغَيَّر{ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ قَوْلاً غَيْرَ الَّذِى قِيلَ لَهُمْ} كما ورد في صحيح الإمام البخاري عن أبي هريرة (رلع) يقول: قال رسول الله ﷺ: قيل لبني إسرائيل ادخلوا الباب سجدًا، وقولوا حِطة نغفر لكم خطاياكم، فبدلوا، فدخلوا يزحفون على أستاههم وقالوا حبة في شعرة"، فأمضى تعالى سننه فيهم{ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزاً} أي عذابًا، أي الطاعون لما ورد في تفسير الطبري{ مِّنَ السَّمَاءِ} أي بأمر الله تعالى{ بِمَا كَانُواْ يَظْلِمُونَ}﴿١٦٢﴾ لما ورد في صحيح الإمام مسلم عن أسامة بن زيد ψ قال: قال رسول الله ﷺ:" إن هذا الطاعون رجز

سُلِّط على من كان قبلكم أو على بني إسرائيل، فإذا كان بأرض فلا تخرجوا منها فرارا منه، وإذا كان بأرض فلا تدخلوها".

ثمّ ذكَّرهم تعالى بجرم ثالث فقال:{ واَسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ} ساحل{ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ} ويعتدون على ما شُرع لهم{ فِي السَّبْتِ} الذي حُرِّم عليهم{ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ} أي الأسماك{ يَوْمَ سَبْتِهِمْ} الذي اختاروه لراحتهم{ شُرَّعاً} عند ساحل قريتهم{ وَيَوْمَ لاَ يَسْبِتُونَ} طيلة الأسبوع{ لاَ تَأْتِيهِمْ} ف{ كَذَلِكَ نَبْلُوهُم} ونبتليهم{ بِمَا كَانُوا} أي بسبب ما كانوا{ يَفْسُقُونَ} ويعصون، فاحتالت جماعة منهم ونصبوا شباكهم يوم الجمعة وأخذوا السماك يوم الأحد، فنهتهم جماعة منهم{ وَإِذَ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ} ثالثة{ لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً} عصوا واعتدوا و{ اللَّه مُهْلِكُهُمْ} بذنوبهم{ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً} في الدنيا قبل الآخرة ف{ قَالُواْ} أي الجماعة الناصحة: نهيناهم عن المنكر ليكون لنا{ مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ} يوم القيامة{ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ} ويتوبون عن فِعلهم{ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ} من نُصح{ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ} أي الناصحون{ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُواْ} باصطياد السمك، والجماعة التي لم تنهى عن المنكر{ بِعَذَابٍ بَئِيسٍ} وضُّرٍ الشديد في الدنيا، وفي ذلك دلالة على استحقاق تاركي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر العقوبة{ بِمَا كَانُواْ} أي بسبب ما كانوا{ يَفْسُقُونَ} ويعصون{ فَلَمَّا عَتَوْاْ} وازدادوا طغيانًا{ عَن مَّا نُهُواْ عَنْهُ}

مسخناهم و{ قُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَاسِئِينَ} مدحورين مطرودين من رحمة الله إلى يوم القيامة.

الملخص: -

بيّن تعالى ما آل إليه اتباع موسى (ع‌س) من يهود، وضرب المثل لكثرة معاصيهم، وبيّن جزائهم في الدنيا قبل الآخرة.

(١٦٧-١٧١) أخذ تعالى العهد على نفسه بأن يَسُوم بني إسرائيل سوء العذاب في الدنيا لظلمهم وكثرة معاصيهم، وأمرهم بالتمسُّك بالتوراة بقوة.

وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾ وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الأَرْضِ أُمَماً مِّنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُواْ الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَـذَا الأدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَاقُ الْكِتَابِ أَن لاَّ يِقُولُواْ عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقَّ وَدَرَسُواْ مَا فِيهِ وَالدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾ وَالَّذِينَ يُمَسَّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ إِنَّا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾ وَإِذ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّواْ أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُواْ مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾

لا زال الحديث عمّا آل إليه قوم موسى (ع‌س) من يهود، بعد أن أمرهم بالكفِّ عن عنادهم وتعنُّتهم واستكبارهم فأبوا وأعرضوا، فأمضى تعالى سننه فيهم فقال:{ وَإِذْ تَأَذَّنَ} وأعلن وصرَّح{ رَبُّكَ} مؤكدًا أنّه تعالى{ لَيَبْعَثَنَّ} وليُقيّضنَّ وليُرسِلَّن{ عَلَيْهِمْ} أقوامًا غلاظًا شدادًا على مر التاريخ{ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ} ويَطلُبُون ذِلَّهم بـ{ سُوءَ الْعَذَابِ} في الدنيا، ولما ورد في صحيح الإمام مسلم عن أبي هريرة (رلع) أن رسول الله ﷺ قال:" لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فَيَقتُلَهُم المسلمون، حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر أو الشجر:" يا مسلم يا عبد الله، هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله، إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود"، وسبب تلك العقوبة نَقضِهم مَواثِيقَهُم العامة والخاصة التي أخذت عليهم بالإيمان بالرسول ﷺ ونصره في قوله تعالى في سورة آل عمران:{ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِىۖ قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَاۚ قَالَ فَٱشْهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ}﴿٨١﴾ كميثاق عام، والميثاق الخاص الذي أخذ عليهم عند جبل الطور قوله تعالى في سورة الأعراف:{... قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾

ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾١٥٧ وقد بيّن تعالى أنّ الرسول ﷺ أرسل للناس جميعًا ناسخًا لما معهم في قوله تعالى في سورة الأعراف:{ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ﴾١٥٨ ثمّ جزم تعالى قائلًا:.{ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ} لمستحقّيَ عذابه{ وَإِنَّهُ} تعالى{ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ} لمن استغفر وتاب وأناب.

ثمّ بيّن تعالى عقوبته ليهود في الدنيا فقال:{ وَقَطَّعْنَاهُمْ} وشرذمناهم{ فِي الأَرْضِ} فِرقًا وطوائف وأحزابًا{ أُمَماً} مختلفة{ مِّنْهُمُ الصَّالِحُونَ} المتبعون لوحي الله{ وَمِنْهُمْ دُونَ} وأقلّ هدًى من{ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ} وامتحنّاهم{ بِالْحَسَنَاتِ} وما يحبُّون{ وَالسَّيِّئَاتِ} وما يكرهون{ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} فيتوبون ويؤمنون{ فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ} ليسوا بأحسن منهم{ وَرِثُواْ الْكِتَابَ} أي التوراة، فصاروا{ يَأْخُذُونَ} ويتقصَّدون{ عَرَضَ هَـذَا الأدْنَى} من رِبا ورشوة تاركين حَظَّ الآخرة{ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ

لَنَا} بأمانيّهم الكاذبة الخادعة{ وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ} آخر وكسب مشبوه{ مِّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ} دون تورع{ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَاقُ الْكِتَابِ} في التوراة{ أَن لاَّ يِقُولُواْ عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقَّ وَدَرَسُواْ} وعُلِّموا وتعَلَّمُوا{ مَا فِيهِ} من شرائع وأحكام وحلال وحرام{ وَ} أنّ{ الدَّارُ الآخِرَةُ} هي{ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ} ما تدرسون وتتعلمون، ثمّ قال تعالى:{ وَالَّذِينَ يُمَسَّكُونَ} ويأمرون الناس بالتمسك{ بِالْكِتَابِ} من عقيدة وعبادات وأخلاق ومعاملات وأحكام وشرائع{ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ} المفروضة عليهم فـ{ إِنَّا} سبحانه تعالى جلّ جلاله{ لاَ نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ} في الدنيا والآخرة.

ثمّ ذكَّر تعالى بالميثاق الذي أخذ عليهم فقال:{وَإِذ نَتَقْنَا} واقتلعنا{ الْجَبَلَ} أي جبل الطور حتى صار{ فَوْقَهُمْ} وأصبح و{ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ} كالسحاب فوق رؤوسهم{ وَظَنُّواْ} يقينًا{ أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ} وساقطٌ عليهم ليُهلِكهم لا محالة، قائلا:{ خُذُواْ مَا آتَيْنَاكُم} من شرائع وأحكام وتمسكوا بها{ بِقُوَّةٍ} لا تفرِّطوا في شيءٍ منها{ وَاذْكُرُواْ} وتذاكروا وتدارسوا{ مَا فِيهِ} من مواعظ{ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} فتأمنون وتتبون وتستغفرون.

الملخص: -

أخذ تعالى العهد على نفسه بأن يَسُوم بني إسرائيل سوء العذاب في الدنيا إلى يوم القيامة، لظلمهم وكثرة معاصيهم، وأخذ عليهم العهد بالتمسك بشرائع التورة بقوة.

(١٧٢-١٧٩) إشهاد الأنفس على ربوبيته تعالى، وضرب المثل لعقوبة الانسلاخ عن الدين، وتأكيد ظلم المكذبين لأنفسهم

وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُواْ إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِىَ آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَـكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَاء مَثَلاً الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُواْ يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ مَن يَهْدِ اللَّه فَهُوَ الْمُهْتَدِى وَمَن يُضْلِلْ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٧٨﴾ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَـئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾

يخبر تعالى عن مشهد من مشاهد ماضي الغيب الواجب الإيمان به فقال:{ وَإِذْ أَخَذَ} وأخرج{ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ} أي من آدم (عس) إلى آخر مولود{ مِن ظُهُورِهِمْ} أي من ظهور الرجال{ ذُرِّيَّتَهُمْ} ونسلهم{ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ} ليشهدوا يوم القيامة، قائلًا:{ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ} الذي خلقكم وفطركم فـ{ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا} والغاية من ذلك الاستشهاد{ أَن تَقُولُواْ} أي لئلا يقول أحدًا من الناس{ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا} العهد والاستشهاد{ غَافِلِينَ} لا نعلم عنه شيئًا{ أَوْ تَقُولُواْ} أي ولئلا يقول أحدًا من النّاس{ إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ} فاتبعناهم{ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ} من قبلنا{ وَكَذَلِكَ} أي وبمثل هذا المثال{ نُفَصِّلُ الآيَاتِ} ونبين معانيها ومدلولاتها، فلا عُذر لنفس{ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} عن كفرهم إلى الإيمان بربهم فيستغفرون ويتوبون.

ثمّ ضرب تعالى مثل آخر فقال:{ وَاتْلُ} وقُصَّ{ عَلَيْهِمْ نَبَأَ} وخبر{ الَّذِيَ آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا} وبراهيننا وحججنا{ فَانسَلَخَ مِنْهَا} وأعرض عنها{ فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ} بسنن الله تعالى التي لا تتخلف عن أحد لقوله تعالى في سورة الزخرف:{ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ}﴿٣٧﴾ { فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ} الضّالين{ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ} وشأنه في الدنيا والآخرة{ بِهَا} أي بتلك الآيات{ وَلَـكِنَّهُ أَخْلَدَ} وأحب الخلود{ إِلَى الأَرْضِ} وزينتها{

وَاتَّبَعَ هَوَاهُ} وما تشتهيه النفس{ فَمَثَلُهُ} أي فأصبح مثلُه{ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ} وتسخره للعمل{ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ} بلا عمل فيظل{ يَلْهَث} وهذه حقيقة علمية، فالكلاب لا تتعرق أجسامها، فتظل تلهث لتنظيم درجة حرارة أجسامها، استعاضة عن ظاهرة التعرق عند البشر لتنظيم درجة حرارة أجسامها، فـ{ ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا} فتراهم يلهثون لجمع ما يستطيعون من الدنيا غافلين عن نعيم الآخرة{ فَاقْصُصِ الْقَصَصَ} واضرب الأمثال{ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} ويستغفرون ويتوبون فيؤمنون.

وقد ورد في جُل التفاسير بأنّ المَعنِي بهذا المثل هو بلعام بن باعر اليهودي، وفي ذلك نظر، لما ورد في السنن الكبرى للإمام النسائي عن عبد الله بن عمرو (رلع):" في هذه الآية{ آتيناه آياتنا فانسلخ منها} قال: هو أمية بن أبي الصلت"، ومختصر ما ورد في البداية والنهاية لابن كثير أنه كان شاعرًا من ثقيف، وأدرك الإسلام، وكان مستقيما، وعَلِمَ من النصارى قرب مبعث نبي الأمة، وكان يظن أنّه هو، وقال مرةً: والله ما كنت لأومن برسول من غير ثقيف أبدا! فلما أُخبر ببعثة الرسول ﷺ قال: والله لعَلَّه، إنّ صفته لَهِيَ، ثمّ قدم على رسول الله ﷺ في مكة، فقال: يا ابن عبد المطلب ما هذا الذي تقول؟ قال: أقول إني رسول الله، وأن لا إله إلا هو، ثمّ قرأ عليه سورة يس، فقالت له قريش: ما تقول يا أمية؟ قال: أشهد أنه على الحق،

فقالوا: هل تتبعه؟ قال: حتى أنظر في أمره، ثمّ عزم على الإيمان برسول الله ﷺ وأن يُلقِي إليه مقاليد أمر النبوَّة، فلما علم أن ابني خاله عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة قتلا في بدر رجع إلى الطائف وترك الإسلام.

فقال تعالى:{ سَاء} وخبث وخاب وضلَّ{ مَثَلاً الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا} ورُسلنا{ وَأَنفُسَهُمْ كَانُواْ يَظْلِمُونَ} بتكذيبهم{... وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ}﴿٢٥٨﴾ كما قال تعالى في سورة البقرة، وظلموا أنفسهم بحجب المحبّة الإلهية عن أنفسهم لقوله تعالى في سورة آل عمران:{... وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ}﴿٥٧﴾ وعرَّضوا أنفسهم للعنة الله تعالى لقوله تعالى في سورة هود:{... أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ}﴿١٨﴾ ذلك في الدنيا، ولهم عذاب أليم في الآخرة لقوله تعالى في سورة إبراهيم:{... إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}﴿٢٢﴾.

ثمّ جزم تعالى فقال:{ مَن يَهْدِ اللُّه} لتقواه وحُسن سريرته{ فَهُوَ الْمُهْتَدِى} الحق، فلا يضل ولا يشقى في الدنيا والآخرة لقوله تعالى في سورة طه:{... فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ}﴿١٢٣﴾ { وَمَن يُضْلِلْ} الله بسبب كفره أو شركه أو نفاقه{ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ} في الدنيا والآخرة لقوله تعالى في سورة طه:{ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ}﴿١٢٤﴾.

ثمّ قال تعالى:{ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا} وهيئنا وأعددنا{ لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ} بسبب تكذيبهم بآيات الله فأصبحت{ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ} ولا يفهمون{ بِهَا} الحجج والبراهين{ وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا} الآيات والدلائل{ وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا} المواعظ والإرشاد كقوله تعالى في سورة الغاشية:{ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ}﴿٢٠﴾ فـ{ أُوْلَـئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ} فالأنعام تسبح وهم لا يسبحون لقوله تعالى في سورة الإسراء:{... وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَـٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا}﴿٤٤﴾ فـ{ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ} عن مصالح أنفسهم في الدنيا والآخرة.

الملخص: -

أشهد تعالى لأنفس على ربوبيته لها، وضرب المثل لعقوبة الانسلاخ عن الدين، وأكّد تعالى ظلم المكذبين لأنفسهم.

(١٨٠-١٨٨) الأمر بالدعاء بأسمائه تعالى الحسنى، وبيان سننه تعالى في المكذبين، وتأكيد أنّ علم الساعة والغيب له تعالى وحده.

وَلِلّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَآئِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لاَ يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ

إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلاَّ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾ أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِى مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَى أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَىِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ مَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلاَ هَادِىَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِى طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى لاَ يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ ثَقُلَتْ فِى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لاَ تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾ قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعاً وَلاَ ضَرّاً إِلاَّ مَا شَاء اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ السُّوءُ إِنْ أَنَاْ إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾

يرشد تعالى عباده المؤمنين فيقول:{ وَلِلَّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا} لكل حاجاتكم، وأسمائه تعالى كما ورد في كتاب التوحيد لأبي عبدالله محمد بن إسحاق، عن أبى هريرة (رلع) قال: قال رسول الله ﷺ: لله تسعة وتسعونَ اسمًا، مائة إلا واحد من أحصاها دخل الجنة، هو الله لا إله إلا هو الرحمن، الرحيم، الملِكُ، القُدّوس، السّلام، المؤْمِن، المهَيْمِن، العزيز، الجَبّار، المتَكَبّر، الخالق، البارئ، المصَوِّر، الغَفّار، القَهّار، الوَهاب، الرّزّاق، الفَتّاح، القابِضُ، البَاسِطُ، الخافِضُ، الرَّافع، المعِزّ، المذِلّ، السّميع، البصِير، الحَكَم، العَدْل، اللطيف، الخبير،

الحَلِيم، العَلِيم، الغفُورُ، الشّكُور، العلِي، الكبير، الحفيظ، المغيث، الحَسِيبُ، الجَلِيلُ، الكرِيم، الرّقيبُ، المجِيب، الوَاسِع، الحكِيم، الودُود، المحِيط، الباعِث، الشَّهِيد، الحَقّ، الوكِيْل، القَوِيّ، المبين، الوَلِيّ، الحَمِيدُ، المُحْصِي، المبدئ، المعْيْد، المحيي، الممِيْتُ، الحيّ، القيُّوم، الماجِد، الوَاجِد، الوَحِد، الأحَد، الصَّمَد، القادر، المقتدر، المقَدِّم، المؤخِّر، الأوَّل، الآخِر، الظَّاهر، البَاطِن، الوَلِي، المتَعالي، البَرُّ، التَّوّاب، المنتقِم، العَفُوُّ، الرَّؤُوفُ، الملِك، المَالِك، ذو الجَلالِ والإكْرَام، المقسط، الجَامِع، الغَنىّ، المغْنِى، المانِع، المنّان، النّافِع، النّور، الهَادِي، البَدِيع، البَاقِي، الوَارِث، الرشِيْد، الصبور. وله تعالى أسماءٌ أخرى كالعظيم.

ثمّ أمر تعالى فقال:{ وَذَرُواْ} واتركوا دعوة{ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ} ويشركون{ فِيٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ} فـ{ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ} في الدنيا والآخرة لقوله تعالى في سورة الفتح:{ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا}﴿٦﴾ ويجعل تعالى الشيطان وليهم في الدنيا لقوله تعالى في سورة النحل:{ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ}﴿١٠٠﴾ ولا تُفَتَّح لأرواحهم السماء ولا يدخلون الجنّة لقوله تعالى في سورة الأعراف:{ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ

بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ...}﴿٤٠﴾.

ثمّ قال تعالى:{ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا} من الأمم{ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ} ويحكمون، كأمة محمد ﷺ وأمّة موسى (ع‌س)، لقول النبي ﷺ: هذه لكم وقد أَعْطى اللهُ موسى (ع‌س) مثلها كما ورد في تفسير مقاتل بن سليمان، ثمّ بيّن تعالى سننه في المكذبين فقال:{ وَالَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم} إلى جهنم{ مِّنْ حَيْثُ لاَ يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ} وأمهلهم{ إِنَّ كَيْدِى} ومكري{ مَتِينٌ} لا يُفلت منه كقوله تعالى في سورة الأنفال:{... وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ}﴿٣٠﴾ فيُزين تعالى لهم أعمالهم في الدنيا ليكونوا في الآخرة من الأخسرين لقوله تعالى في سورة النمل:{ إِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ(في الدنيا) وَهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الأَخْسَرُونَ}﴿٥﴾ ولقوله تعالى في سورة الزمر:{ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَكْبَرُۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ}﴿٢٦﴾.

ثمّ قال تعالى:{ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ} في سيرة الرسول ﷺ، ويتيقنوا أنّ{ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ} كما يدَّعون{ إِنْ هُوَ إِلاَّ نَذِيرٌ} من الله{ مُّبِينٌ} ليخرجهم من الظلمات إلى النور{ أَوَلَمْ يَنظُرُواْ} ويتفكروا{ فِى مَلَكُوتِ}

وإبداع واتقان وعظمة خلق{ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ} وما فيهما{ وَمَا خَلَقَ اللَّه مِن شَيْءٍ} فأعطاه خَلْقَهُ ثم هدى، ثمّ حذّرهم تعالى فقال:{ وَأَنْ عَسَى أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ} وموعد هلاكهم{ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ} أي بعد هلاكهم{ يُؤْمِنُونَ} ثمّ يؤكد تعالى سننه فيقول:{ مَن يُضْلِلِ اللَّه} بسبب كفره أو نفاقه أو شركه{ فَلاَ هَادِىَ لَهُ} أبدًا{ وَيَذَرُهُمْ} في الدنيا{ فِى طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ} ويَتِيهُون ويَضِلُّون ويَتَخَبطُون.

ثمّ قال تعالى:{ يَسْأَلُونَكَ عَنِ} أجل وموعد{ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا} وأوانها، فـ{ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى لاَ يُجَلِّيهَا} ولا يبينها ولا يعلمها{ لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ} سبحانه، ثم بيّن شيئًا عن حقيقتها فقال:{ ثَقُلَتْ} وعظُم شأنها{ فِى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ} فـ{ لاَ تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً} وفَجأة، ثمّ استنكر سؤالهم رسوله ﷺ فقال{ يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ} عليم خبير عارف{ عَنْهَا} فـ{ قُلْ} لهم يقينًا{ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللّهِ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ} الحقّ فهم معرضون، ثمّ قال تعالى:{ قُل} لهم إني{ لاَّ أَمْلِكُ} ولا أستطيع أن أكسب ولا أغنم{ لِنَفْسِى نَفْعاً وَلاَ ضَرّاً إِلاَّ مَا شَاء اللَّه} لي، فله تعالى الخلق والأمر كُلّه لقوله تعالى في سورة الأعراف:{... أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ}﴿٥٤﴾ وقل لهم:{ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ} أي غيب الحاضر وغيب المستقبل{ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ} بعمل

كل ما يلزم للحصول على الخير{ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ} والضُّر والمِحن{ إِنْ أَنَاْ إِلاَّ نَذِيرٌ} لمن كفر أو أشرك أو نافق{ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ}.

الملخص: -

أمر تعالى بدعائه بأسمائه الحسنى، وبيّن سننه في المكذبين، وأكَّد أنّ علم الساعة والغيب له تعالى وحده.

(١٨٩-١٩٨) الإشارة إلى بدأ خلق الناس، والاستنكار على شِركهم، وتأكيد عجز ما يعبد من دون الله، وبيان سننه تعالى في المشركين.

هُوَ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفاً فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَت دَّعَوَا اللَّه رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحاً لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحاً جَعَلاَ لَهُ شُرَكَاء فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّه عَمَّا يُشْرِكُونَ﴿١٩٠﴾ أَيُشْرِكُونَ مَا لاَ يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلاَ يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْراً وَلاَ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لاَ يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاء عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَامِتُونَ ﴿١٩٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُواْ شُرَكَاءكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلاَ تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾ إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّه الَّذِى نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴿١٩٦﴾ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ

وَلا أَنفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لاَ يَسْمَعُواْ وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾

أشار تعالى إلى النفس التي خُلِقَ منها الناس فقال:{ هُوَ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ} أي رُوح كما ورد في قاموس لسان العرب{ وَاحِدَةٍ} أي من روح آدم (ع س){ وَجَعَلَ مِنْهَا} أي من تلك النفس{ زَوْجَهَا} حواء- عليها السلام-{ لِيَسْكُنَ} ويحنّ ويستريح{ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا} وسكن إليها{ حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفاً فَمَرَّتْ بِهِ} من غير وهَن ولا تعب{ فَلَمَّا أَثْقَلَت} وبان حملها{ دَّعَوَا} أي آدم وزوجه- عليهما للسلام- راجيان{ اللَّه رَبَّهُمَا} وقالا:{ لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحاً لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ} الحامدين{ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحاً} أي ذرية صالحة{ جَعَلاَ لَهُ} أي لله تعالى{ شُرَكَاء} أي أكثر من شريك.

لكن تضاربت أقوال المفسرين في قوله تعالى:{ جَعَلاَ لَهُ شُرَكَاء فِيمَا آتَاهُمَا} فمنهم من نسب ذلك لآدم وزوجه، فما كان لأنبياء الله أن يشركوا بالله من شيء لقوله تعالى في سورة يوسف:{ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍۚ ...}﴿٣٨﴾ ولكن ولربما أن يعود ذلك على ما رزقهما من أرزاق في الأرض ونِعم، فنسبا شيئًا منها إلى غير الله تعالى، كنسبة الثمر للأرض أو المطر، أو نسبة المطر للسحاب، أو نسبة السحاب للرياح،

كما ورد في صحيح الإمام مسلم عن زيد بن خالد الجهني (رلع) قال: صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية، في إثر السماء كانت من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس، فقال: هل تدرون ماذا قال ربكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب. فاستنكر تعالى فقال:{ فَتَعَالَى اللُّه} وتنزه وتقدس وترفع{ عَمَّا يُشْرِكُونَ} فلا يكون شيئًا في السماوات والأرض إلّا بإذن الله تعالى ومشيئة وأَمره.

ثمّ استنكر تعالى على اتخاذ المشركين الأنداد لله فقال:{ أَيُشْرِكُونَ} به تعالى{ مَا لاَ يَخْلُقُ شَيْئاً} وهو تعالى خالق كلِّ شيء{ وَهُمْ يُخْلَقُونَ} خلقًا من بعد خلق في ظلمات ثلاث{ وَلاَ يَسْتَطِيعُونَ} أي الشركاء{ لَهُمْ نَصْراً} إذا تكالب عليهم غيرهم{ وَلاَ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ} كقوله تعالى في سورة الأنبياء:{ أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَاۚ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ}﴿٤٣﴾.

ثم قال تعالى:{ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لاَ يَتَّبِعُوكُمْ} عقوبةً لهم بسبب شركهم، و{ سَوَاء عَلَيْكُمْ} ولا فرق{ أَدَعَوْتُمُوهُمْ} للإيمان{ أَمْ أَنتُمْ صَامِتُونَ} ثم أكّد تعالى فقال:{ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ} من

شركاء{ عِبَادٌ} لله{ أَمْثَالُكُمْ} فهم يسبحن الله كما تسبحون لقوله تعالى في سورة الإسراء:{... وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا}﴿٤٤﴾ ثمّ تَحَدّاهم تعالى فقال:{ فَادْعُوهُمْ} بما تشاؤون{ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ} ثمّ أُفحَمُهم تعالى مُستنكرًا فقال:{ أَلَهُمْ} أي لآلهتهم{ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا} فكيف تدعون عاجزًا لا يُجيب ولا ينصر ولا يرزق؟

ثمّ أمر تعالى رسوله ﷺ فقال:{ قُلِ ادْعُواْ شُرَكَاءكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ} معهم، وامكروا مكركم{ فَلاَ تُنظِرُونِ} ولا تمهلون ولا تتريثون فـ{ إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ} وناصري ومؤيدي وهاديني{ الَّذِى نَزَّلَ الْكِتَابَ} أي القرآن العزيز{ وَهُوَ يَتَوَلَّى} ويؤيد وينصر ويهدي{ الصَّالِحِينَ} في الدنيا والآخرة{ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ} من شركاء{ مِن دُونِهِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلا أَنفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ}.

ثمّ أكّد تعالى حقيقةً فقال:{ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى} والإيمان{ لاَ يَسْمَعُواْ} عقوبةً لشركهم{ وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ} في الحقيقةً{ لاَ يُبْصِرُونَ} الحقّ، كقوله تعالى في سورة الأنعام:{ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًاۖ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَاۖ ...}﴿٢٥﴾.

الملخص: -

أشار تعالى إلى بدأ خلق الناس، واستنكر شِركهم فيما آتاهم من رزق، وأكد عجز ما يعبدون من دونه تعالى، وأكّد سننه وجزاءاته في المشركين.

(١٩٩-٢٠٦) بيان خُلق المسلم، والرد على أهواء المضلين، والأمر بالإنصات للقرآن والإكثار من ذكر الله تعالى، وبيان حال الملائكة.

خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لاَ يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِآيَةٍ قَالُواْ لَوْلاَ اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يِوحَى إِلَيَّ مِن رَّبِّي هَـذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُواْ لَهُ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ وَلاَ تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ﴿٢٠٦﴾

أوصى تعالى رسوله ﷺ والمؤمنين فقال:{ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ} وورد في تفسير الطبري أنّ النبي ﷺ قال عند نزول الآية:"ما هذا يا جبريل"؟ قال: إن الله يأمرك أن تعفو عمن

ظلمك، وتعطي من حَرمك، وتصل من قطعك"، وورد في تفسير القرطبي في قوله تعالى" خذ العفو" قال: فيه صلة القاطعين، والعفو عن المذنبين، والرفق بالمؤمنين، وفي قوله تعالى:" وأمر بالعرف" الذي جاء به الإسلام، فأمر بصلة الأرحام، وتقوى الله في الحلال والحرام، وغض الأبصار، والاستعداد لدار القرار، وفي قوله تعالى:" وأعرض عن الجاهلين" الحض على التعلق بالعلم، والإعراض عن أهل الظلم، والتنزه عن منازعة السفهاء، ويضاف إليه التَّرَفُّع عن سفاهة الجاهلين، وورد في تفسير القرطبي عن جابر بن سُليم (رلع) لمّا سُأِل النبي ﷺ عن علاج الجفاء قال: اتق الله، ولا تَحقِرَنَّ من المعروف شيئا، وأن تَلقى أخاك بوجه مُنبسط، وأن تُفرغ من دلوك في إناء المُستَسقِي، وإن امرؤٌ سَبَّكَ بما لا يعلم منك، فلا تسبه بما تعلم فيه، فإن الله جاعلٌ لك أجرًا وعليه وزرًا، ولا تَسُبنَّ شيئا مما خوَّلك الله تعالى.

ثم قال تعالى{ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ} ويُحَفِّزَنَّك{ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ} وتحفيزٌ لفعل ذنبٍ{ فَاسْتَعِذْ بِاللّهِ} من الشيطان الرجيم، ثمّ حذّر من ارتكاب الذنب فقال:{ إِنَّهُ} تعالى{ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} لا تخفى عليه خافية، ثم بيّن سلوك المتقين فقال:{ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ} وهمٌّ{ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ} هدي الله تعالى ورسوله ﷺ{ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ} يقظون فطنون{ وَإِخْوَانُهُمْ} المُضِلُّون من شياطين الإنس والجن{ يَمُدُّونَهُمْ} ويعينوهم{ فِي

الْغَيِّ} والضلال{ ثُمَّ لاَ يُقْصِرُونَ} ولا يتورعون{ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم} أي المُضِلّين{ بِآيَةٍ} ودليل وبرهان وحجّة وبيان كما يشتهون{ قَالُواْ} للرسول ﷺ{ لَوْلاَ اجْتَبَيْتَهَا} وأتيت بها من نفسك لنؤمن، فـ{ قُلْ} لهم{ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يوحَى إِلَيَّ مِن رَّبِّي} لا أتقول عليه من شيء، فـ{ هَـذَا} القرآن العزيز{ بَصَآئِرُ} ودلائل وحجج وبراهين{ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى} يُخرجكم من ظلمات الكفر والشرك والإلحاد، إلى نور اليقين بالله تعالى الذي له ملك السماوات والأرض، وله الخلق والأمر، ومعطي كلّ شيءٍ خَلْقَهُ ثم هدى ليقوم بوظيفته دون كلل ولا ملل، والذي لا يكون شيئًا في الكون إلّا بإذنه وأمره ومشيئته{ وَرَحْمَةٌ} أي وهو رحمةٌ في الدنيا قبل الآخرة{ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} لقوله تعالى في سورة طه:{... فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ}﴿١٢٣﴾ ولقوله تعالى في سورة يونس:{ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ}﴿٦٤﴾ وللذكر والأنثى لقوله تعالى في سورة النحل:{ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ}﴿٩٧﴾ ولفتح بركات السماء والأرض للنّاس لقوله تعالى في سورة الأعراف:{ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ...}﴿٩٦﴾.

ثم أرشد تعالى المؤمنين فقال:{ وَإِذَا قُرِئَ} عليكم{ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُواْ} واصغوا{ لَهُ وَأَنصِتُواْ} بالتَّمَعُّن في مقاصده{ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} وسبب نزول الآية كما ورد في تفسير الطبري إن نبي الله ﷺ قرأ في صلاة مكتوبة، وقرأ وراءه أصحابه، فَخَلَطُوا عليه فنزلت، وقال لعلكم ترحمون لتفاوت درجات إيمان المؤمنين في قوله تعالى في سورة فاطر:{ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ}﴿٣٢﴾ ثمّ قال تعالى:{ وَاذْكُر رَّبَّكَ} تسبيحًا وتحميدًا وتكبيرًا وتهليلًا وصلاةً على الرسول ﷺ{ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً} مبتهلًا مذعنًا خاشعًا مستكينًا{ وَخِيفَةً} وخوفًا ورهبةً، وفي ذلك إشارة إلى أعلى مراتب الواصلين كما ورد في تفسير الألوسي{ وَدُونَ الْجَهْرِ} أي وأخفض من الجهر، وفيه إشارة إلى المرتبة الوسطى، وهي نصيب السائرين إلى مقام المشاهدة{ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ} أي عند طلوع الشمس{ وَالآصَالِ} أي بعد الزوال من الظهر{ وَلاَ تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ} عن ذكر الله، وتلك مرتبة النازلين من السالكين كما ورد في تفسير الألوسي، فـ{ إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ} من الملائكة{ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ} أبدًا{ وَيُسَبِّحُونَهُ} ليل نهار{ وَلَهُ يَسْجُدُونَ} ويفعلون ما يؤمرون.

الملخص: -

بيّن تعالى ما ينبغي أن يكون عليه المسلم، ورد على أهواء المُضلين، وأمر بالإنصات للقرآن، والإكثار من ذكر الله تعالى، وبيّن حال الملائكة.